المشرق
تموز ١٩٣٠

القديس يوحنا فم الذهب

وثورة انطاكية

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

١

في سنة ٣٧٩ جلس ثودوسيوس الكبير في عرش المملكة الرومانية. وما هلّ شهر كانون الثاني من سنة ٣٨٧ حتى كان مضى سنون اربع على عقده ولاية الملك لابنه ارقاديوس، وتسميته اياه اوغسطوساً. فاراد حينئذٍ ان يحتفل بعيدٍ اكراماً لولي عهده ووارث ملكه، وبعيدٍ ايضاً له لمرور عشر سنوات على جلوسه في عرش الملك، فقدّم عيده سنة وجمع العيدين في عيد واحد. وكانت العادة جارية في ذلك الزمان ان يوزّع القياصرة على عساكرهم طائفة من المال (stipendium) خوفاً من تمرّدهم عليهم، ورغبةً في توطيد اركان ملكهم، وحرصاً على نشر راية السلام في انحاء المملكة. ولكن بذل المال، واجزال الهبات للفيالق كان علّة في زيادة الضرائب، وداعياً الى التثقيل على كاهل الرعية. وحينئذ

وطّن ثودوسيوس النفس على زيادة الضرائب ليتسنى لـه افاضة سجال العُرف على الجيش وامرائـه ايام العيد ، ويستطيع سدّ الثلمة ، ثلمة النفقـات الجسيمة ، التي فتحها عليه حرب القوط . ولما رسم بزيادة الضرائب ، اضطربت المملكة باسرها ، وامتعضت الاقاليم باجمعها . بيد انها ادّت كلها الضريبـة طائعـة او كارهة : وبسبب ذلك استشاط الشعب الاسكندري على الولاة وشتموهم في الملعب ، وتهـدّدوهم بخلع نير القسطنطينيـة ، وتسليم مصر الى مكسيموس القيصر الروماني .

وفي ٢٦ شباط جمع والي انطاكية مجلس الندوة ، وقرأ عليهم امر الملك المؤذن في زيادة الضرائب . وما اتى على قراءته حتى ثار الشيوخ من مواضعهم مغضبين ، وشرعوا يحتجون على هذه الزيادة الجديدة . ثم عمدوا الى شاراتهم فنزعوها ورموها في الارض وداسوهـا بارجلهم ، وخرجوا على عجل وانبثوا في حياء المدينة ينادون بالويل والثبور ، ويقولون ان القيصر يتقاضى الانطاكيين مالًا وافرًا ليس في طوقهم تقديمه ، وان باعوا انفسهم وبذلوا كل ما يملكون . وما هي الّا سويعة حتى رنّ صدى هذه الشكوى وهـذا التذمّر في اطراف المدينة ، فاستشرى الشعب من عند آخره ، واشتعلت نيران الفتنة . فهرع العقلاء من فورهم الى الاسقف فلابيانوس ، وطلبوا اليه ملحين ان يتوسط بينهم وبين العاهل ليخفف الضريبة . غير ان ألسُن لهيب الفتنة[1] اندلعت بسرعة وخاب كل امل في اخمادها ، اذ سطا الطغام والرعاع لفورهم على الحمامات وعاثوا فيها سلبًا ونهبًا ، وخرجوا من هناك وهجموا على دار الولاية ، وطفقوا يتهـدّدون ويتوعّـدون ويحطّمون ويكـسرون . فشت اذ ذاك قلوب الحكام وامراء الجيش في صدورهم خوفًا ، وانقطعت ظهورهم رهبة وفرقًا ، وحاروا في امرهم

١) ان تيلمون في الحاشية ٢٧ من حياة ثودوسيوس يجعل ثورة انطاكية سنة ٣٨٧ . وذكر القديس فم الذهب في خطبته ١٦ ان تلك السنة كانت الثانية من وعظه . فاذن تيلمون مصيب لان يوحنا ارتقى الى درجة الكهنوت سنة ٣٨٦ في اوائلها . ولكن بعضهم جعلوها سنة ٣٨٨ استنادًا الى احتفال الملك بمرور سنين من ملكه . غير ان الملك قدّم عيده سنة . هذا وان ثودوسيوس في سنة ٣٨٨ لم يكن في القسطنطينية اثناء الصوم ، بل كان في تسالونيكي .

مبلسين لسرعة انتشار الاضطراب والهيج ، وفشوّ الهرج والمرج ، ولم يتجه لهم رأي يعتمدون عليه حتى انهم لم يتمكنوا من القرار . فكان سكوتهم وخوفهم واستتارهم سبباً لتشجيع الثوار وتنشيطهم . ولمّا طلبوا الى زعيم الرماة ان يسرع الى حراسة الشوارع والطرق ، تثاقل ، بل لم يلبِّ الطلب . وفي تلك الاثناء تألّب في الازقّة والسكك والجوادّ جماهير اقوام أخلاط من غرباء ، وعملة ، ومشعوذين ، وبطالين ، ومجّان ، واولاد ، وعمدوا الى صور الملك المنقوشة في وجوه المباني العمومية ، ولطخوها بالوحل ، وتسلّق الاولاد الاعمدة وقلبوا التماثيل . ولما انتهوا الى الساحة العمومية عمدوا الى تمثال ثودوسيوس المنصوب فيها وركسوه ثم حطموه ، بل انهم لم يبقوا على تماثيل امرأته[1] واولاده ، فربطوها بالامراس ، وجرّوها في الاوحال وهشموها ، وبعد ذلك رموا بها في العاصي . واتفق ان احد الشيوخ ابى مشاركتهم في عملهم ، فيمّموا داره وجعلوها للوقت طعمة للنار . وما مضت ساعات وحان الظهر ، حتى سكن الهيج وهدأ الاضطراب ، وسادت على اثره السكينة وخيّم الهدوء ، وادرك الثائرون وخامة عملهم وحرج موقفهم ، وفطنوا لتباعات ما جنت ايديهم من الشرّ وما تعرضوا له من شدة العقاب والأسواء المتعددة ؛ لان البُرُد تجهزت للسفر في اليوم عينه ، وخرجت مسرعة الى القسطنطينية ، حاملة الى الملك اخبار الفتنة وتفاصيلها .

حينئذٍ خاف أولو الامر من القصاص والعزل فاشتدوا على معاقبة المجرمين ، واصبحت المدينة كلها رهينة الخوف والاضطراب ، ولاذ بالفرار الاغنياء والفقراء ، والرجال والنساء ، والشيوخ والاحداث ، وعاذوا بالمدن المجاورة والآجام ، واستكنّوا بالجبال والآكام ، فهلك منهم خلق كثير[2] ، لان اللصوص الذعّار بطشوا باولئك اللاجئين بطش الاسود بالحملان ، واثخنوا فيهم قتلاً ، حتى كانت كل يوم اشلاء القتلى تذهب الى البحر طافية فوق مياه النهر .

ومن بعد الظهر هبّ ولاة الامور يتعقبون النافخين في نار الفتنة ويزجون

١) فلاسيلا (Flacilla) الملكة المتوفاة .

٢) فم الذهب : المجلد الثاني ، ص ٢٢٠

بهم في اعماق السجون ، وامتدت ايديهم الى الابرياء ، فغصّت اذ ذاك سجون المدينة بالافناء والاوباش ، والكرام والاشراف . امَّا الشيوخ واولادهم فحبسوا في دار الولاية ، وبقوا فيها الى حين وصول اوامر الملك بالعفو . ولمَّا دجا الليل انتشر على المدينة غمامة كثيفة من الخوف والهلع ، فبات من بقي هنالك بليل أنقد . وما انبثق نور الفجر ، حتى ابكر الولاة والقضاة الى مجالسهم ، وشرعوا يستعرضون السجناء ويستخبرون منهم عن اخبار الثورة وعمن اشترك فيها ، وقد تذرَّعوا بجميع ضروب العذاب والنكال من قتل وضرب وحرق وطرح للوحوش وجلد توصلًا الى بغيتهم ، وارصدوا امام باب دار المحكمة فرقة من الرماة منعاً للرجال الذين اسرعوا للتشفع في والديهم واصدقائهم ، واقصاء للنساء اللواتي وثبنَ الى ذلك المكان للتوسّل في انقاذ ازواجهنَّ واولادهنَّ ، وهنَّ باكيات منتحبات . والحاصل ان ذلك النهار كان من اشد الايام هولًا . ولمَّا اتى المساء ، رأى النساء ، بينما كنَّ واقفات خارج الباب صامتات واجمات ليس في وجوههنَّ رائحة دم ، اعيانَ المدينة مكبولين مكتوفين مساقين الى الموت ، فعلَتْ اصواتهنَّ ، وفاضت شؤونهنَّ ، واستبقت عبراتهنَّ ، وغُمي على كثير من الوالدات والزوجات والفتيات . ثم أفقنَ وأسرعنَ الى موضع النكال ليشاهدن بامّ العين مقتل اولادهنَّ وازواجهن وآبائهنَّ واخوتهنَّ . وحين وصولهنَّ ابصرن ما هالهنَّ ، وارعش مفاصلهنَّ ، فاغمي عليهنَّ مرة اخرى فحُملن الى بيوتهنَّ فوجدنها موصدة في وجوههنَّ ، لان الولاة كانوا سبقوا وختموا ابوابها ، فاضطررن الى الطواف في احياء المدينة ، وطَرْق الابواب باباً باباً ليجدنَ لهنَّ مأوى[1] . ودامت الحال هكذا خمسة ايام ما انقطع فيها التعزير ولا التعذيب ، فهلك ابرياء ومجرمون واولاد عديدون . على ان هذه الكارثة نبهت في الانفس عاطفة الدين ، فتغيَّر في لحظة عين ذلك الشعب المتهالك في الملذَّات والافراح ، واختراف ثمار المسرَّات ، تغيرًا عظيماً ، وخفَّ الى الكنائس والمعابد والتفَّ حول القديس فم الذهب يسمع كلامه وتعازيه .

---

١) الكتاب المذكور : ٤٥ و ١٣٤ .

وكان القديس لا يألوا جهداً في الذهاب الى الوالي ليدافع عن المتهمين[1] ، وفي زيارة العائلات وتعزيتهن عن فقد من فقدن ، وهو حزين كئيب. وقد عزم في تلك الاثناء على لزوم الصمت . ولكنه لما رأى شدة حزن الانطاكيين ، صعد المنبر مطرقاً ممتقع اللون ، مقبوض القلب ، مكدر الخاطر ، وشرع يقول بكلام يملك القلوب ويستعبد الاسماع :

« ماذا اقول لكم وبأي الكلام اخاطبكم في هذه الايام المشؤومة ، ايام الحزن والكآبة ؟ اني احتاج اليوم الى دموع لا الى كلام ، والى ندب لا الى خطب ، والى رفع الادعية الى الله لا الى مواعظ . لقد اثمنا ، ولا دواء لبلايانا العظيمة الجسيمة... فاسمحوا لي اذن ان ابكي شرورنا. والآن ، بعد سبعة ايام انقضت في الصمت والسكوت ، افتح فاي بالنطق لاندب معكم مصيبتنا العامة . مَن حسدنا ايها الاعزاء على سعادتنا ؟ ومن اين اتى هذا الانقلاب ؟... اني لا اكاد استطيع فتح فمي والنطق بالكلم ، لان الحزن بمنزلة لجام يعقد لساني ويحبس كلامي . ما كان اسعد مدينتنا قبلًا ، وما اشقاها الآن ! كل يوم كانت الجماهير تملأ الساحة العامة ، وتمور فيها كأنها خشرم نحل يدندن حول خلاياه ، وكان الجميع يغبطون هذه المدينة المنعم عليها ، التي كان يحييها وينعشها كثرة السكان . والآن امست الخلية خالية ، لان الخوف بدد السكان كما يبدد النحل الدخان... اننا ما رأينا بعد نار البرابرة ، ولا جه العدو ، ومع ذلك نحن فريسة لنفس العذاب الذي يقاسيه الاسرى... انطاكية منذ ايام احست بهزات الزلازل ، واليوم هي القلوب تهتز وترتجف . حينئذٍ تزعزعت أُسس البيوت ، واليوم انفس السكان تتضعضع من شدة القلق ، اذ ان الموت ماثل على الدوام نصب اعيننا ، وحياتنا اصبحت عبارة عن خوف دائم... السادة والعبيد اختبئوا في عقر بيوتهم ، واصبحوا كالاسرى يتسآلون من شدة قلقهم قائلين : على مَن قُبض اليوم ؟ وهامة مَن نُقفت ؟... يا تلال البيي الحداد ، ويا جبال نوحي معنا ! فلندعُ الخلائق كافة لتُشاركنا في نكبتنا . المدينة العظيمة ، عاصمة الشرق ، على

(١) الكتاب المذكور : ١٢٥ .

عدّة الاستئصال من على وجه الارض ! المدينة الحافلة بالسكان فقدت فجأة اولادها ولا معين لها ! اننا امتهنا من لا مثيل له على الارض ، لان الملك زعيم اهل الارض ورأسهم. فلنلجأ اذن الى المالك في السماء ، ونسأله العون. ولكن اذا اخطأنا الأيد العلوي فما من كفّارة لذنوبنا.»[١]

فبهذه الكلمات وامثالها كان القديس يعزّي ويشدّد وينشط ويؤنّب الانطاكيين الذين استحوذ عليهم الخوف والقنوط ، واضطر الى القاء عشرين موعظة في اثناء ايام الخوف . وكان يذكّرهم بسرعة زوال الدنيا وبطلانها ، ويغريهم بالفضيلة ، ويلومهم ويقرّعهم على تناسيهم واجباتهم ، ويبيّن لهم حرج موقفهم. قال :

« لنتصرفنّ بحكمة ايها الاعزّاء في كل الامور . واعلموا ان الفقر لا يضرّنا بل يفيدنا خيرًا ... اني سائلكم فاجيبوني : مَن كان افقر من ايليا ؟ ولكنه مع فقره فاق الاغنياء ... أما ان ملك اسرائيل الذي كان يملك ويحوز قناطير الذهب كان لا يزال يتهافت باحترام على سماع هذا الفقير المعدم الذي كانت كل ثروته رداء فقط ، ولكن هذا الرداء فاق بلمعانه برفير الملوك ، ومغارة الصديق كانت اجمل من قصور السلاطين ... ايليا ترك رداءه لتلميذه ، وابن الله لدى صعوده ترك لنا جسده . ايليا تجرد من ردائه ، ويسوع المسيح اخذ معه ما ترك لنا . فلا نفشلنّ ، بل لنكفنّ عن البكاء والخوف من مصائب الدنيا.»[٢]

(له صلة)

---

١) الخطبة الثانية في الشعب الانطاكي ، من المجلد عينه ، ص ٣٠ وما يليها.

٢) ٣٤.

رفع المياه

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الطبي الافرنسي
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

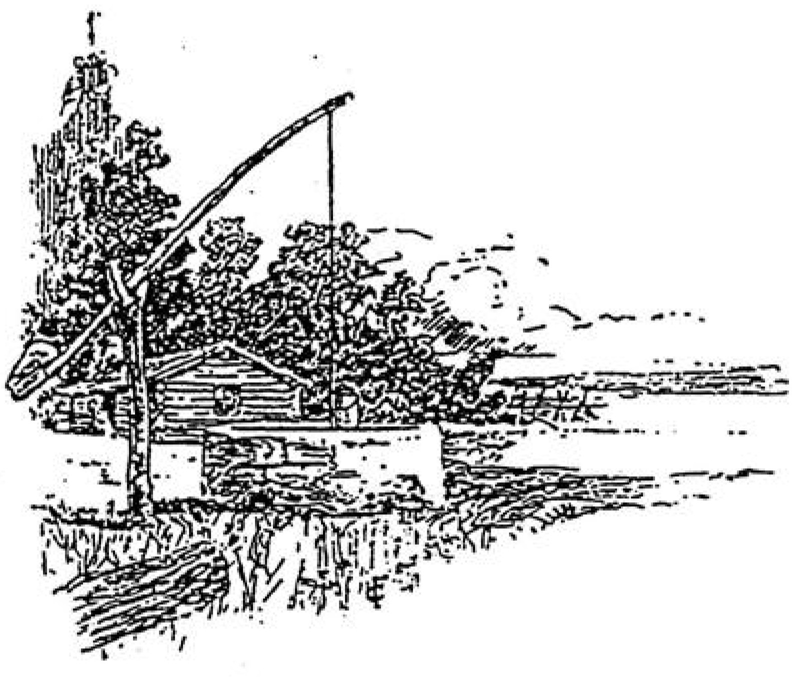
انه ما اوحى الينا بهذه المقالة هو ما يجهله العامة من المبادى الاولية في علم الطبيعيات ، خصوصاً فيما يختص بمبدأ مص المياه من الآبار ورفعها بواسطة الآلة المعروفة بالطلمبة .

كيف لا وكثيرون هم القادمون الينا من اهل المدن والقرى يطلبون طلمبةً عادية او طلمبةً من النوع المعروف « بالسانتريفوج » لسحب المياه من بئر يزيد عمقها عن العشرة امتار ! .. ولسنا نتوخى في هذا الدرس كيفية ايجاد الينابيع ، بل طرق استخراج مياهها ، جاريةً كانت في الانهر والجداول ، او راكدةً في الآبار والخزّانات فنقول :

ان الآبار على نوعين ، الآبار السطحية وهي ما لم يزد عمقها عن الثمانية امتار ، والآبار العميقة وقد يبلغ عمقُ بعضها ثلاثين وخمسين متراً ، ولا نذكر الآبار الارتوازية واكثر مياهها فوّارة . فالآلات المستعملة لرفع تلك المياه ، من الآبار العميقة هي غيرها لرفعها من الآبار السطحية . وقد بحث الانسان ، منذ القديم ، عن تلك الآلات وجهد نفسه في تحسينها لان الماء ، كالهواء ، مادّة حياته ، فلا غنى له عنه في غذائه ، ورفاهيته ، وريّ ارضه . غير ان الطرق التي استخدمها ، في بدء التاريخ ، دامت اجيالاً حتى قامَ طوريشاليّ وپاسكال في القرن السابع عشر ، فحدّدا مبدأ الضغط الجويّ على سطح المياه ، فكانت الطلمبة .

الآلات التاريخية

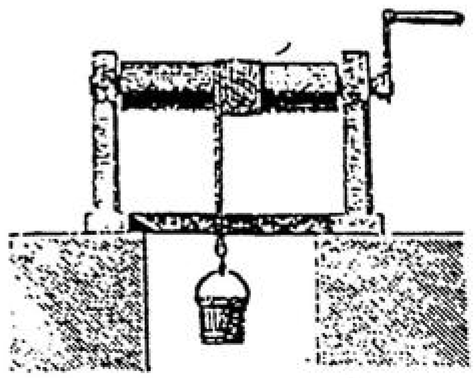
اول ما استخدم الانسان ، في رفع المياه ونقلها ، الاوعية والقصاع ، يستقي بها من المياه الجارية رأساً ، او يدليها في الماء بواسطة الشادوف . والشادوف آلة لا تزال تستعمل عند الفلاحين في مصر والجزائر ، قوامها عمود تتحرك فوقه ، كما في الميزان ، خشبةٌ طويلة يعلّق في احد طرفيها الدلو او غيره ويثقل الطرف الآخر بالاحجار ، حتى اذا أُنزل الدلو في الماء وامتلأ صعد بقوّة الثقل .



الرسم ١ : الشادوف

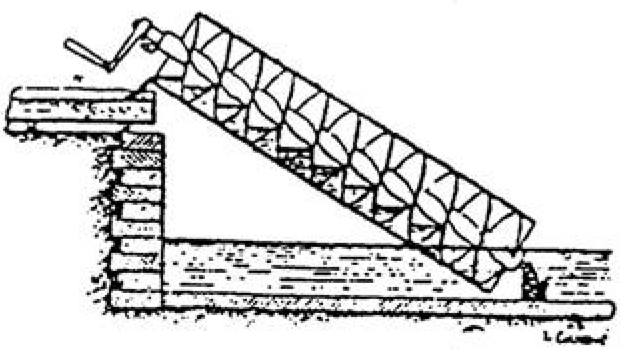
ثم جرت العادة انّ تُنزل الاوعية في البئر بواسطة الحبل . وهذه الطريقة لا تزال تستعمل في كثير من القرى عندنا حيث يجتمع حول البئر ، في الصباح وفي المساء ، نساء وبنات القرية ، حاملاتٍ جرار الخزف فيملأنها ويعدن بها رافعاتها على رؤوسهنّ متمايلات ... وكم رأيت هذا المشهد في صغري فطالما ذكّرني بالسامرية ، واقفة بجرّتها على حافة البئر ، تسمع كلام السيد المسيح عن ماء الحياة ...

ورفعُ الماء، بطريقة الحبل، ذو مشاقّ، لذلك جيء بالخنزيرة او الدولاب والجذع كما في الرسم ٢ . وادارة الخنزيرة أهون بكثير من سحب الحبل، لان القوة تخفّ بنسبة قطر الجذع الى قطر الدولاب.



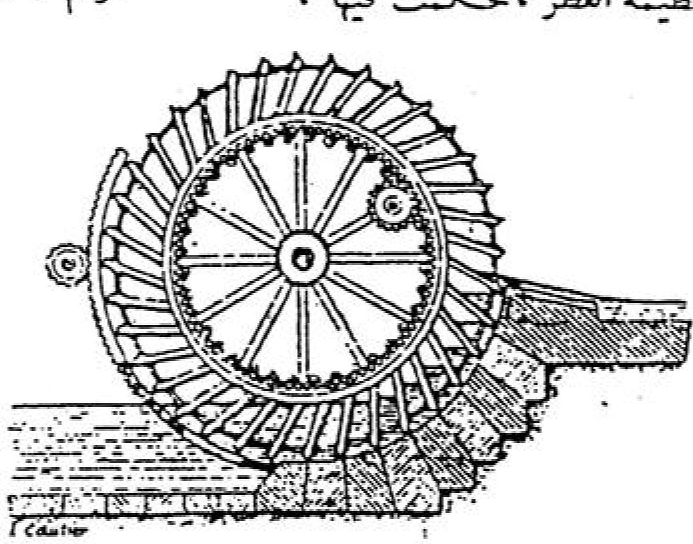
الرسم ٢ : الخنزيرة

وسواء استعمل الحبل او الخنزيرة فكمية الماء المستخرجة، بهذه الطريقة، زهيدة، محصورة، لا تكفي لاحتياجات شتى كالريّ وغيره . وقد سدّ هذه الحاجة، في القديم، الآلة المعروفة بلولب «ارخميذس» والتي يمثلها الرسم ٣ فاذا حُرّك اللولب بسرعة، صعد الماء حيال ضلوعه، بقوة البرم، وصبّ منه. وقيل ان الاقدمين في مصر استخدموا تلك الآلة لرفع مياه النيل .



الرسم ٣ : لولب ارخميذس

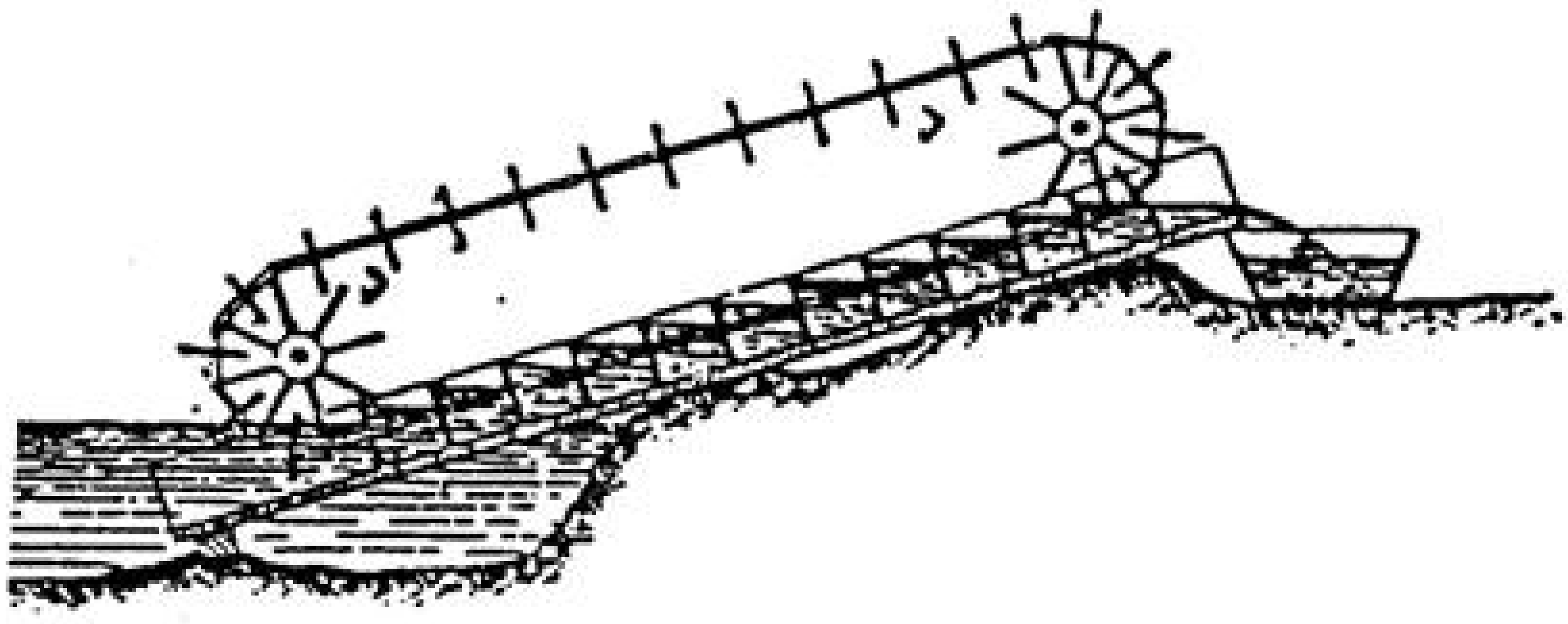
وكانت بعد ذلك فكرة «الدولاب» وهو دائرة، عظيمة القطر، حكمت فيها، من الخارج، مجارف يشبه فراش . فاذا دار ذلك الدولاب على محوره جرفت فراشاته شيئاً من الماء وصبته على سطح الارض كما يرى في الرسم ٤ . وفي الناعورة، تُحكَم تلك الفراش فوق حبل



الرسم ٤ : الدولاب

جرّار يدور على نفسه فوق دولابين صغيرين (انظر الرسم ٥)

وفي بلادنا ، تستبدل الفراش بخلايا او قواديس مركبة على دائرة دولاب كبير او جرار ينزل في البئر كما في الرسم ١٣ . فاذا دار الدولاب او الجرار ،



الرسم ٥ : الناعورة

مرت قواديسه في البئر الواحدة تلو الاخرى واخذت من مياهها شيئاً حتى اذا وصلت فوق سطح الارض صبته في جرن جامع . ولا يزال اثرُ تلك النواعير باقٍ في لبنان ، خصوصاً في بعض المدن الزراعية كجونية وصيدا .. ومن لم يرَ « ناعورة » قهوة انطلياس ، قرب بيروت ، يديرها الماء الجاري فيجتمع الناس من حولها ، ايام الصيف والربيع ، متفرجين متبردين ؟

يُديرُ الناعورة غالباً زوجٌ من البقر ، وهذا سببُ بقائها الى اليوم. قلّما يحوّل الفلاح ناعورته باستخدام المحركات الزراعية ، ولديه قوة طبيعية ، هي البقر ، لا غنى له عنها في اشغاله وحراثة ارضه ! ولو وقفنا موقف الشعراء لرأينا ان في الناعورة ، بصريرها ، وحبال مياهها الفضية ، شيئاً من الشعر لا نراه في الطلمبة الصناعية .

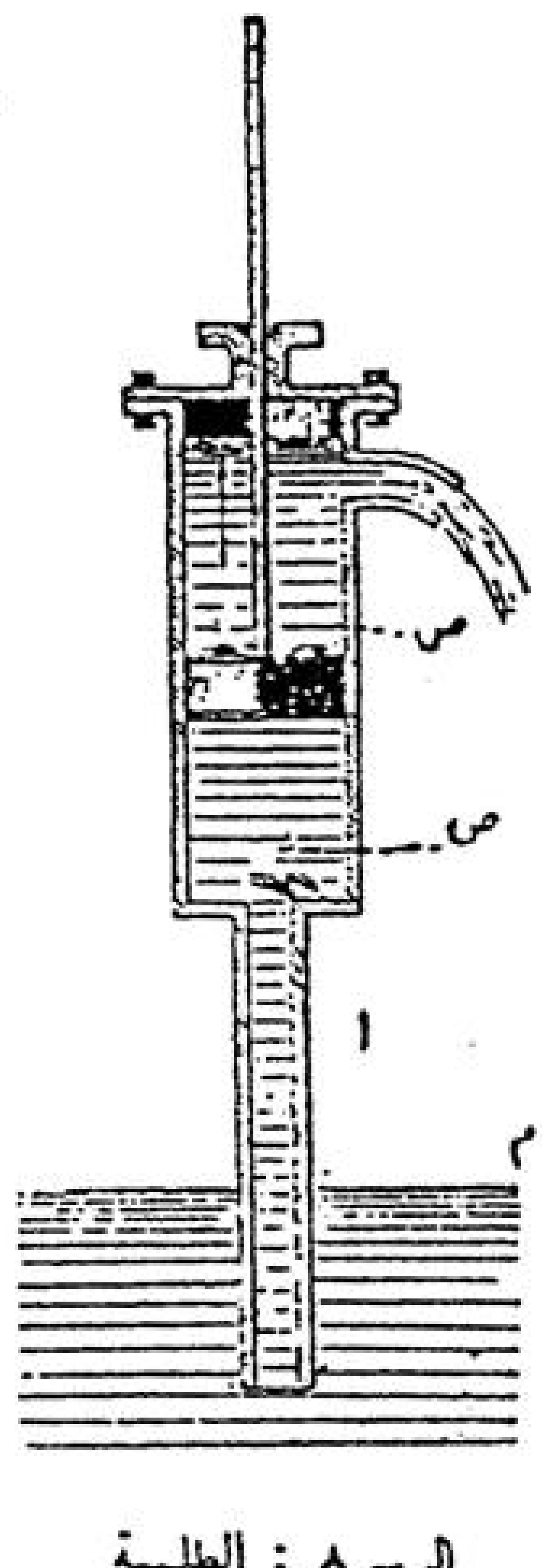
ومن المدهش ، في المياه الجارية ، هو استخدام قوة سيلان الماء لإدارة الدولاب كما هي الحال في جهات حماة حيث تُرفع مياه العاصي بثنات من تلك الآلات ، مشتة على ضفافه . وقد تغنى شعراء الافرنج وكتابهم ، «كبوردو» ، و«تارو» ، بهذه الدواليب فوصفوها بصريرها الدائم ، ومياهها المتساقطة فوقها ، تشع في شمس الصباح ...

الآلات الحديثة

اول الآلات الحديثة الطلمبة العادية ، واساسها ما بيّنه العالم باسكال من مبدأ الفراغ والضغط الجوّي. وهذه الطلمبة ترى في الرسم ٨ ، اساسها اسطوانة فارغة ، يتحرك ضمنها ، رواحاً واياباً ، مدكّ فيه مصراع يفتح الى فوق . وفي قعر الاسطوانة مصراعٌ ايضاً يفتح كذلك . فاذا حُرّك المدكّ تكرارًا ، خفّ الهواء في الطلمبة ، فصعد الماء ، بقوة الضغط الجوّي ، في انبوبة المص النازلة في البئر ودخل منها ، بواسطة المصراع ، الى اسطوانة الطلمبة ؛ حتى اذا نزل المدك ضغط على تلك الكمية من الماء ففتحت المصراع العلوي وخرجت منه .

وقد بيّن العلماء أن قوة الضغط الجوّي ، على سطح البحر ، توازي ضغط عشرة امتار وثلث المتر من الماء. لذلك يستحيل سحبُ المياه ، بواسطة الطلمبة ، من بئر يزيد عمقُها عن العشرة امتار ، لان ضغط الماء ، في انبوبة المصّ ، يغلب الضغط الجوّي. وفي الواقع لا يزيد علو السحب عن الثمانية امتار بسبب صعوبة تفريغ الهواء من الطلمبة تماماً .

ويجب ان تكون حركة المدكّ بطيئة فلا تزيد على الستين دفعة في الدقيقة ، والّا تحطمت الطلمبة او نقص عمرها . لذلك جاوزوا فيما بعد بالطلمبات المعروفة « بالسانتريفوج » ، وهي كناية عن مروحة تدور بسرعة ضمن غلاف خارجي ، محكم التوقيع ، فتفرغ منه الهواء ، فيصعد فيه الماء ويصب منه . وهذه الطلمبات كثيرة الاستعمال اليوم في الريّ وغيره ، انما لا تسحب لاكثر من ستة او سبعة امتار . ومن معايبها وجوب ملء انبوبة المصّ اول استخدامها والّا لم تخرج ماء .



الرسم ٨ : الطلمبة

ص : المصراع — انبوبة المصّ

م : سطح الماء في البئر

وعلى مثال « السانتريفوج » الطلمبات « الدوّارة »، وعمل الفراغ فيها تحققه اسطوانة داخلية تدور ضمن اسطوانة خارجية، حسب قاعدة مخصوصة . وقد رأيت من هذه الطلمبات ما حكم توقيها فسحبت عن عمق ثمانية او تسعة امتار، اي ما يقارب العمق المبدئي...

ولا بدّ لنا من القول في ان علوّ السحب او المصّ يتناقص بارتفاع البئر عن سطح البحر لان الضغط الجوّي اخفّ في الجبال منه في الشواطئ. لنأخذ مثلاً لذلك طلمبةً في بيروت تسحب عن عمق ثمانية امتار، فلو نقلت هذه الطلمبة الى صوفر، وعلوّ البلدة ١٢٥٠ متراً عن سطح البحر، لما سحبت الّا عن ستة امتار ونصف تقريباً.

هذا من جهة السحب . اما علو الدفع فيبلغ في الطلمبات العادية ثلاثين واربعين متراً، اللهم اذا كانت قوة المحرك للطلمبة كافية لذلك العلو، وفي الطلمبات الخصوصية «كالسانتريفوج» ذات المروحتين فاكثر، يُزاد هذا العلوّ الى مائة متر فما فوق

في الآبار العميقة

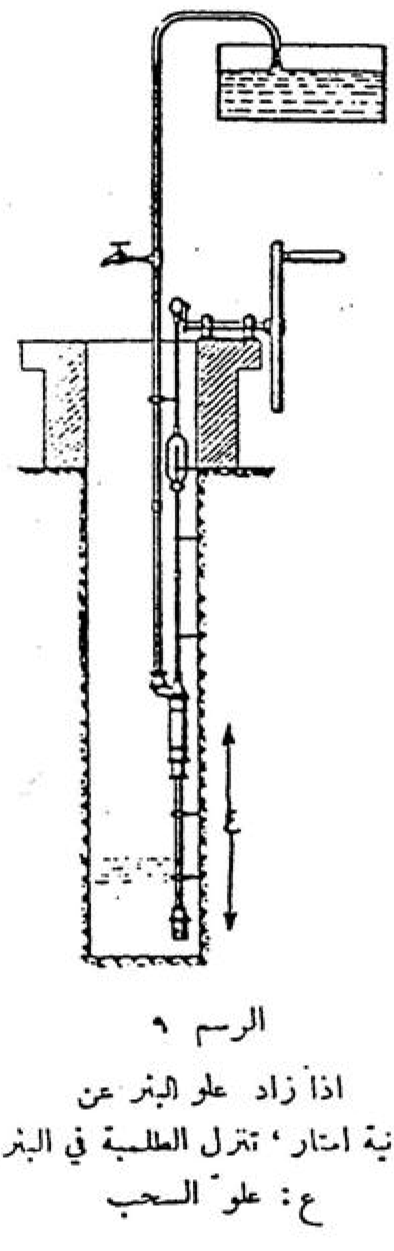
قلنا ان علوّ المصّ في الطلمبة لا يزيد مبدئياً عن العشرة امتار وثلث المتر في السواحل . امّا في الواقع فيتراوح بين الستة والثمانية امتار، حسب نوع الطلمبة وحسن صنعها . فما هي الطريقة اذاً لرفع المياه من الآبار العميقة ذات العشرين والثلاثين متراً ؟

ان لحلّ السؤال طرقاً شتى :

اولاً اذا كانت الطلمبة من النوع العادي، ذات المدك، وجب وضعها ضمن البئر وتحريكها من سطح الارض بواسطة عود طويل يصل المدك بالدولاب او مسكة البرم . وتُنزل الطلمبة في البئر الى ان يصبح علو السحب ثمانية امتار فما تحت . والرسم ٩ يمثل مقطع بئر ركبت فيه الطلمبة على هذا الشكل.

امّا في « السانتريفوج » فامامنا طريقتان: اما ان تجعل الطلمبة ضمن البئر،

يديرها المحرك من على الارض بواسطة قشاط ينزل في البئر ويلف على بكرتها ، او الاحسن ، اذا كان المحرك كهربائياً ، ان يركز المجموع على مرتبة في البئر ، كما في الرسم ١٠ ، فيدير المحرك الطلمبة رأساً بدون قشاط . ويصير ايقاف المحرك وتسييره بارسال التيار الكهربائي اليه بواسطة اسلاك تنزل في البئر ، ومفتاح كهربائي تقفله او تفتحه من الخارج . ولا يجوز وضع المحرك الكهربائي في البئر ما لم يكن معمولاً لهذه الغاية والّا اثّرت فيه ، على طول الايام ، رطوبة الهواء ، فتعطّل . ويجب ايضاً ألّا يُركز المجموع ضمن البئر ما لم يتحقق صاحبه ان المياه فيه لا تعلو في الشتاء فتغمره ، لان من العيون ما لا تثبت مياهها على علوّ واحد فتشحّ في الصيف وتفيض في الشتاء .



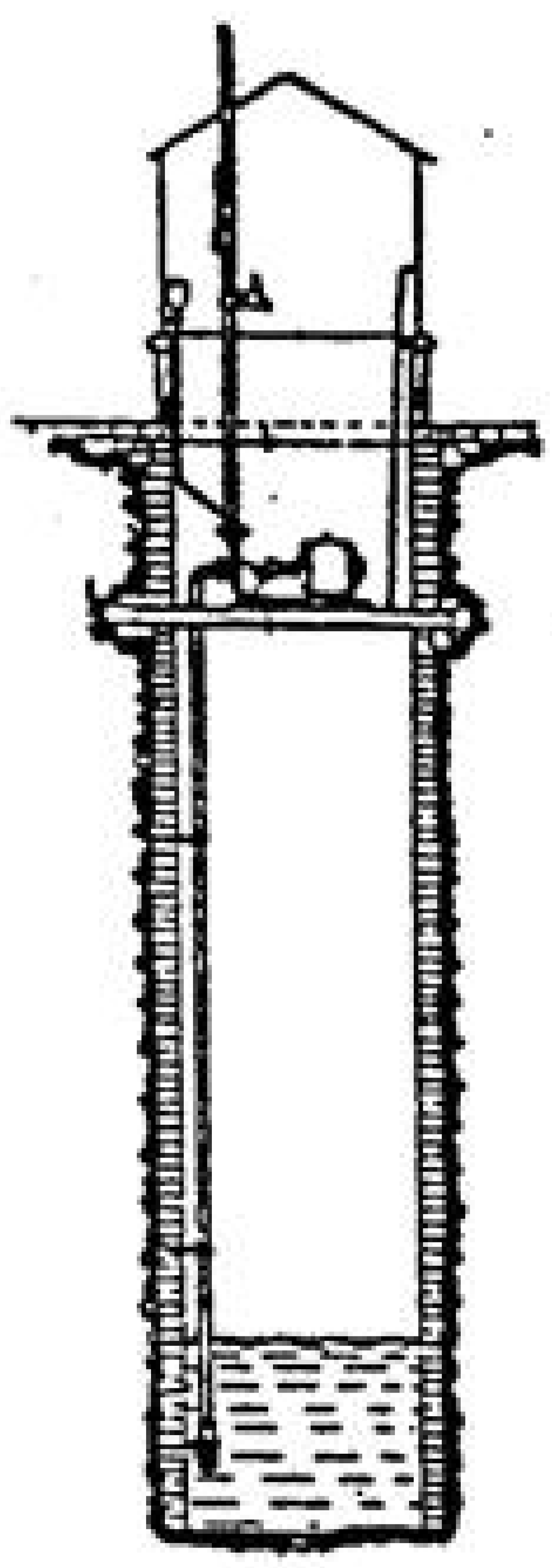
الرسم ٩

اذا زاد علو البئر عن الثمانية امتار ، تنزل الطلمبة في البئر

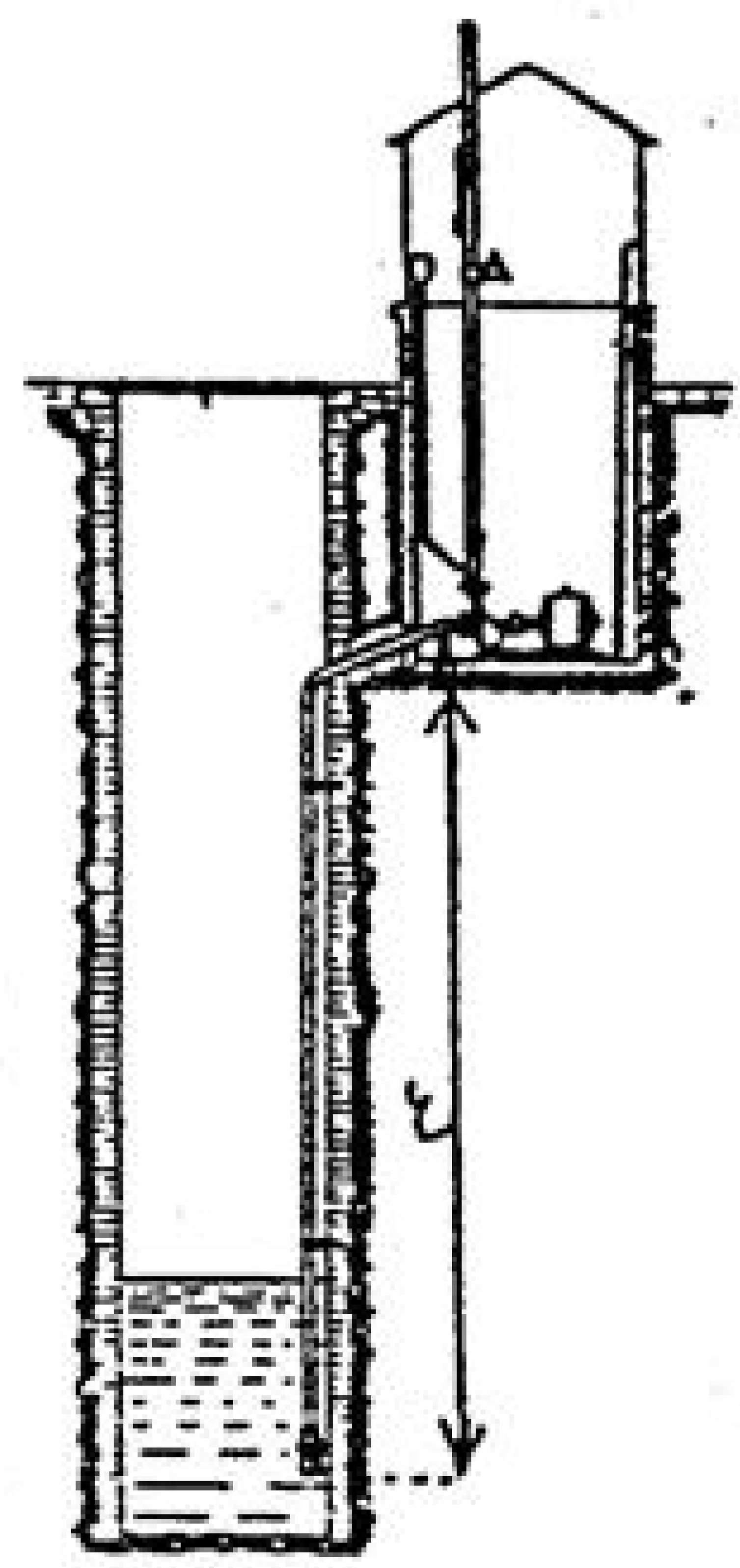
ع : علوّ السحب

فاذا وُقع المجموع الكهربائي في الشتاء صعب استخدامه في الصيف ، لنزول سطح المياه ، واذا حُكم في الشحائح ، فاضت المياه في الشتاء فغمرت الطلمبة والمحرك فعطلته . لذلك وجب ، والحالة هذه ، اما نقل المجموع تباعاً ، فيوطّى في الصيف ، ويعلّى في الشتاء — وفي ذلك مشقة — واما ان يُحفر ، قرب البئر ، غرفة عميقة يُنزل فيها المجموع ، كهربائياً كان او نارياً ، فيكون في مأمن من الماء . (انظر الرسم ١١) .

وتصل الطلمبة بانبوبة المصّ ضمن جدران البئر على ان يطيّن حولها « بالسينتو » . وقد شاع استعمال تلك الطريقة ، اذا كان المحرك على النار لان تنظيفه وتسييره اسهل في الحفرة منه في البئر . غير انها طريقة ذات اكلاف



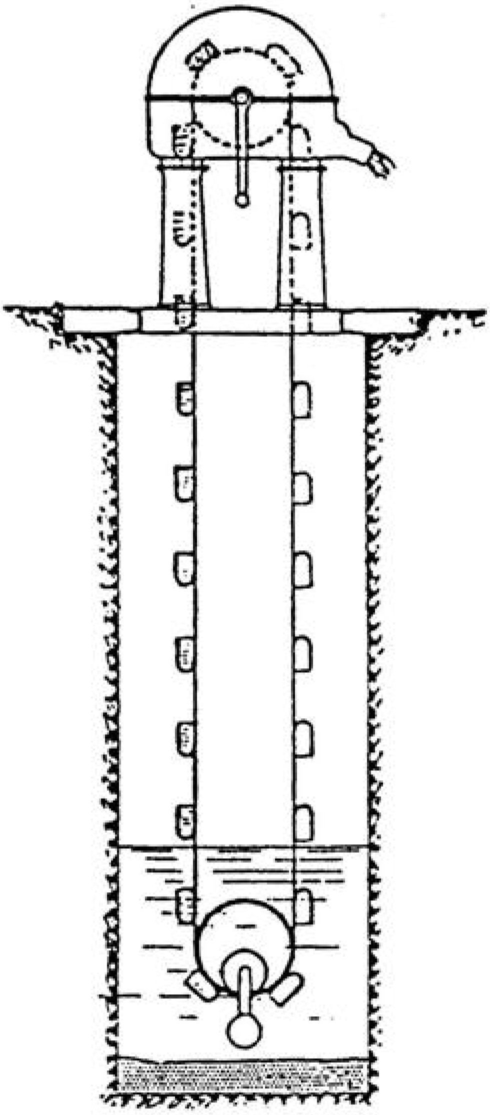
الرسم ١٠
مجموع طلمبة ومحرك
كهربائي انزل في بئر عميقة



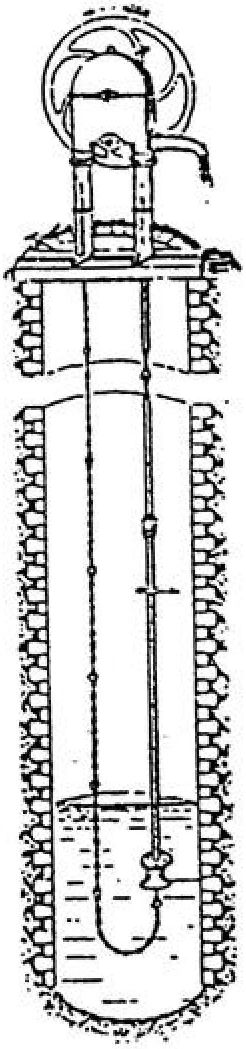
الرسم ١١
المحرك والطلمبة جُملا
في حفرة قرب البئر لتخفيض علو
السحب ع

واهية لاسيما في الآبار العظيمة العمق فتصير الحفرة كأنها بئر ثانية .

ويُستخدم ايضاً في الآبار العميقة ، آلات اخرى كالناعورة (الرسم ١٢) والطلمبة المعروفة بالشانليس . واساسها جنزير ذو خلايا رفيعة يدور فوق دولاب ، وطرف الجنزير نازلٌ في الماء . فاذا دار الجنزير بسرعة ، علق في خلاياه وعلى خارجه الماء فصب من الطلمبة ...



الرسم ١٢
الناعورة حبل
ذو قواديس يدور في الماء



الرسم ١٣
الطلمبة «لاشانليس»
تعلق حبيبات الماء في الجنزير ،
بقوة البرم ، فتصب من الطلمبة

(للبحث صلة)

نبذة تاريخية

في تنصُّر بعض الامراء اللمعيين

عني بنشرها

القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس مدرسة جبيل والبترون

الرسالة الثانية (*)

للمطران بطرس كرم

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام

بعد اهداء ما وجب ولاق وبثّ الاشواق نبدي انه بالطف آنٍ وصلني تحرير سيادتكم وبه تطلبون مني لكي اقدّم لكم الايضاح عمّا يخصُّ عايلة المرحوم الامير بشير ابن المرحوم الامير مراد فامتثالاً لامر المجمع المقدس وتتميم مطلوبكم اعرض عن ذلك ولكن قبل ان ابرهن لكم حقيقة هذا الامر فرأيت ان اخبركم عن اسم عايلة ... كيف كان اعتقادهم وباي واسطة اقتبلوا الديانة المسيحيَّة الحقيقية فهذه العائلة تُكنّى بيت ابي اللمع ومذهبهم كان دروزاً كما هو الواضح اذ لم يزل للآن البعض ... دروزاً ومن برهة قصيرة قد رجع للايمان البعض من هذه البقيَّة عن يد الموارنة وهم تابعين طقسنا بكل طمأنينة . واماً الوسائط التي بها اقتبلوا الديانة الحقيقية فلا اقدر اشهرها كتابةً لاسباب صوابيَّة . وبعده ان شاء الله بالمواجهة اعرضها لساناً وانما اقول الآن فقط ان بذاك الوقت ما كان يقدر احد من جميع الطوائف الشرقية على ذلك الّا الموارنة لاجل جملة محذورات ومن جملتها لاجل الخوف من الدروز المقتدرين ومن احتسابهم من المشاقين لئلا يصير لهم سبيلاً لاضطهادهم فلذلك هذا هو السبب الذي من اجله ما كان « ممكناً » ترجيعهم إلّا عن يد الموارنة الذين استقاموا في طقسهم منذ اقتبالهم الديانة المسيحية . وحصل للطائفة

(*) نقلت حرفياً عن النسخة الاصلية التي هي بخط المطران بطرس نفسه .

اضطهادات وخسائر ليست بقليلة من جرى (جرا.) ذلك فاذ اوردنا ذلك باختصار وبوجه العموم فلنوضح كيفيَّة ما نحن بصدده ونقول انه كان يوجد امير درزيّ يقال له الامير شديد فهذا تزوج بالستّ فتنة اخت المرحوم الامير قاسم الشهابيّ عمَّة سعادة الامير بشير الموجود الآن فاتَّجد له منها ولد يقال له الامير مراد. فالمذكور الامير شديد ترك الديانة المسيحية ورجع درزيًا كما كان فلما كبر الامير مراد فوالدته المذكورة اعتنت بعماده وعمادها فمنعها زوجها المرقوم اذ حصل الخصام بينهما طلّقها وتزوَّج بغيرها ابنة درزيَّة من عايلة بيت رسلان من الشويفات. فالامرأة المذكورة المباركة اخذت ابنها اذ صار شابًا وانطلقت به الى دير مار موسى الحبشي الكائن بقرية بعبدات من معاملة المتن لعند رهبانه الموارنة واعتمدا منهم وقبلا الديانة المسيحية وتبعا الطقس الماروني وتناولا الاسرار المقدسة بالفطير وسلكا بالحساب الجديد وباقي الطقس الماروني. واستقام الامير مراد هناك مع والدته الى ان توفي والده بغير ولد من الامرأة الدرزيَّة ثمَّ رجع الى بيته في قرية فالوغا وخطب الستّ سلطانه ابنة عمّته اخت الامير طرودي المارونية من بسكنتا وطلب التحليل والتفسيح من هذا المانع من بطرك الموارنة وتكلّل من خوري المطرح[1] الماروني فاتَّجد الى الامير مراد من الستّ سلطانة المذكورة ولد وهذا هو الامير شديد واعتمد بالدير المذكور عند الرهبان المرقومين[2] فماتت الستّ سلطانه واراد زوجها الامير مراد يأخذ اختها الستّ فانوس امرأةً له فارسل يطلب ذلك من المرحوم البطرك يوسف التيَّان فامتنع ولم يسمح له بذلك. واذ كان المرحوم الامير مراد متعصبًا لأخذ اخت امرأته فاستشار بذلك المرحوم البطرك اغناتيوس صرّوف الروم الملكيّ الكاثوليكي اذ كان مطرانًا على رعيَّة بيروت الملكيين فاوعده بالتفسيح من هذه القرابة وهكذا تمَّ واتخذ الستّ فانوس المارونية ايضًا اخت سلطانه امرأته الاولى المتوفية زوجةً له. فمن ذاك الوقت الامير مراد اتَّبع الطقس الحميز والحساب العتيق من دون اذن الكرسي الرسولي بعد براءة البابا

١) المحلّ ٢) والصواب ان الذي منحه سرّ العماد هو الخوري عبدالله الراعي خادم فالوغا بحضور الاب اغناطيوس بليبل، على ما ورد في كتابه السابق للقاصد الرسولي.

بناديكتوس الرابع عشر التي يحتم بهـا بعدم تغيير الطقوس ونقل شخص من طائفة الى طائفة من دون اذن صريح من الكرسي الرسولي. وهذا اعني اتباع الامير مراد بالطقس الشرقي بعد هذا الامر الرسولي تحقق غاية التحقيق لكوني انا الفقير اعرف الامير مراد قبل زيجته الاولى واعرف امرأتـه الاولى الستّ سلطانه قبل زيجتها له وباولى حجة اعرف الثانية ايضاً . ولا اعرف كيف ان المطران صرُوف المرقوم فسّح له مانع القرابة المذكور واقتبله بطقسه الشرقيّ لانه لا يوجد لذلك دليل ولا اثبات ولكن مع ذلك لا عجب . حيث انهم الآن يقتبلون بطقسهم الرومي بعض اشخاص من طائفتنـا بدون اجازة من الكرسي الرسولي وضد رضانا ولم يعتبروا ذلك.

فلما المرحوم الامير شديد بلغ رشده نظر والدهُ تابع الطقس الشرقي فتبعه هو ايضاً مع ان خالته الستّ فانوس اتّخذ لها ابنتين من والده وبقيتا على الطقس الماروني مثلما كان والدهم في الابتداء. وكما كانت والدتهما مارونيّة دائماً وتوفيت كذلك . والابنتان الواحدة توفيت بعد زواجها مارونية والثانيـة لم تزل حيّة الى الآن مارونية . ثمّ تزوّج الامير شديد بابنة مارونية من عايلته واتّخذ له منها اربعة صبيان وابنتين وتوفي الامير شديد من نحو اربع سنوات كاثوليكياً فابنه الاكبر المسمّى الامير عبدالله كان كوالدته واخوته واختيـه ولم يزل في الطقس الشرقيّ . واما والدته الموجودة الآن ما غيّرت طقسها الماروني ابداً مع ابنتها ايضاً . واما اولادها الثلاث اذ فهموا من والدتهم بان جدّهم ووالدتهم قد كانا في البداية موارنة وتبعا الطقس الشرقي من دون جواز وكذلك جدّتهم ووالدة جدّهم عاشا وماتا موارنة فرجعوا الى طقسهم الفطير والحساب الجديـد ولم يرتضوا في الطقس الشرقي . فلما علم بذلك حضرة الاخ المطران اغابيوس حرّر لي عن سبب قبولي اياهم ولم يخلو من الملامة عليّ مذكراً اياي بامر الكرسي الرسولي المار ذكره لكونه غير عالم بحقيقة ما شرحناه فاجبته بشرح المادة وكيف يحقّ لي قبوله وانني نبهته بحياته على ذلك وانه لا يجوز لـه ان يتبع الطقس الشرقي حيث ان والده اقتبل الديانة المسيحية بطقسنا الماروني وبقي عليه جملة سنين ... والامراء المرقومين ما لنا استطاعة تلزمهم بالقهر خوفـاً من جملة

محذورات. كانت روءساء الطائفة متحملة ذلك احتمال.

ثمَّ بعده انعرضت المادة منه ومنا الى المجمع المقدَّس وقلد فحصها للسيّد لوسانا. اولاً هل ان الامير مراد اقتبل الديانة كما شرحنا. ثانياً هل ان الامراء المرقومين هم بالحقيقة مع والدتهم يرغبون بان يستمرّون بالطقس الماروني وهذا قد افهمني عنه[1] ... من غير ان يريني امر نيافته[2] ام يطلعني عليه. وبعد ... بيرد لي بمدّة[3] حضر لعندهم بذاته وصحبة المطران اغابيوس الملكي وفحصوا حضرة الستّ واولادها فاوضحوا له. اولاً حقيقة ما شرحناه. ثانياً انه لا يمكن ان يتركوا الطقس الفطير وبالجملة الطقس الماروني ويتبعون الطقس الخمير مع باقي الطقس الشرقي. وسيادة المطران لوسانا رغبهم جدًّا جدًّا لكي يتركوا الطقس الفطير مع باقي الطقس الماروني ويتبعون الطقس الخمير مع باقي الطقس الرومي وابدل (وبذل) كلّ جهده بذلك بحضور المطران اغابيوس فما صار قبول منهم ولا من والدتهم بل اوضحوا له امام المطران المرقوم انه غير ممكن يرضون بذلك. فلما تحقّق حضرة المطران اغابيوس هذا تهدّدهم بانواع كثيرة وكلّمهم بكلام مرّ قاسي فتزايد نفورهم منه وجاوبوه بان لا يحتملوا ذلك لحال مقامهم وشرفهم. ثمَّ قدَّموا للسيد لوسانا كثيرًا من شهادات كهنة اتقياء وشهدوا له عما يخص الا ... قبوله للديانة. وهذا جميعه صار بدون حضوري اذ كنتُ بعيدًا عنهم مسافة يوم ولم يخبرني (المطران لوسانا) بحضوره لعندهم كما اوعدني حين مواجهتي له لمَّا افهمني امر نيافته. ثمَّ انصرف صحبة المطران اغابيوس واستقام عنده ثلاثة ايام واذ علمتُ بذلك ارسلتُ له ما عندي من الشهادات وطلبت منه ما تقدَّم له من حضرة المطران اغابيوس فجاوبني لساناً لا خطاً بانه اتجد عنده شهادات بتبيّن ان الامير مراد وابنه الامير شديد عاشا وماتا بالطقس الشرقي وانه يوجد شخص كفيف النظر شهد له بان الامير مراد لم تكلّل ... له روبيا (مارونيًا) وبعض شهادات من المشاقين والبعض من الدروز. فجاوبته لساناً مع الرسول انه لا عجب من ذلك وعلى افتراض صدق ... يحتمل عدم

١) وتظنه السيد لوسانا ٢) رئيس المجمع المقدس ٣) اي انه علم بعد مدة انه حضر عندهم السيد لوسانا بذاته صحبة المطران اغابيوس ... كما يتحصَّل من سياق الكلام

تصديقه فما شهدوا به هو بزيجته الثانية واتباعه بعدها الطقس الشرقي وكذلك الامير شديد . أمّا شهادة المشاقين والدروز فهذه لا اعتبار لها كونهم يشهدون بما لا يعلمون.

ثمّ بعد ذلك اعرضتُ الستّ المرقومة وجناب الامراء اولادها الى المجمع المقدّس كلّما جرى وتمّ من جهة حضرة السيّد لوسانا ومن حضرة الاخ المطران اغابيوس وقرّروا لنيافته على اعتمادهم بدوامهم بالطقس الماروني وان لا يمكنهم يتبعوا الطقس الشرقي لاجل جملة اسباب صوابية ومرتجين نيافته بان لا يلزمهم بما لا يقدرون عليه . ثمّ اعرضتُ انا ايضاً عمّا تمّ وارسلتُ صورة الشهادات المنقولة عن الاصلية الموجودين عندي الآن بعد ان نسخها اشخاص كنايسيين وتوجهوا لنيافته حينما همّ السيد لوسانا على التوجه من هذه البلاد . ثمّ هو ايضاً طلب مني شرح المادّة بالاختصار مع صورة الشهادات فارسلت له حسب طلبه واخذهم صحبته والى الآن ما رجع جواب من نيافته بل حضر لي تعريف واعلام بوصول كتابتي والشهادات وكتابة الامراء المرقومين وكتابة والدتهم. والشهادات التي اتخذت معنا بهذا الصدد فهي واصلة ليدكم بخير وربما انها كفاية واذ (واذا) لزم غيرها اخبروني واذ لزم براهين وايضاح كذلك اول تعرفوني لانني بعونه تعالى مستعدٌ الى اثبات ذلك.

أمّا بخصوص حضور اولادكم رعيتنا الموارنة الى بيروت الى استماع الوعظ ورسالة سيادتكم وانكم قد انشرحتم جدّاً من حضورهم للوعظ فانني بذلك ممنون غيرتكم واشكر افضالكم على هذا الامر الحميد وبكل وقت طائفتنا اولادكم الخاضعين للاوامر الرسولية ومقدمين اجتهادهم ورغبتهم لاحترام قصّاد هذا الكرسي من رؤساء ومرؤسين حسب عادتنا من قديم الزمان للآن وبالاخص نحو شخصكم الموقر الذي قد تحقّق لي منه الغيرة الرسولية وحب السلامة التي اشهرتموها فاؤمل دائماً تكرموا عليّ بالتطمين عن انشراحكم ولا ابرح من دعاكم واطال الله تعالى بقاكم للدوام

١٣ آذار سنة ١٨٣٤

الداعي اخيكم
المطران بطرس كرم
مطران بيروت

الشعر العامي

بقلم توفيق عوّاد

٢

كيف ينظمونه المغني — المحاورة وآدابها

يسمّون الشاعر في لغة العامّة « قوّالًا » (من « القول » وهو اسم آخر للشعر العامي اللبناني) وابن الفن ، وابن الكار ، وابن الذكا . وللقوالين آداب في محاوراتهم بعضهم مع بعض يراعونها بدقائقها . ومن اخلّ بشيء منها عُدّ ذلك عيباً فيه وعارًا له. واكثر ما يجتمعون في السهرات ، والافراح ، واندية اللهو ، وبيوت الاغنياء. فاذا دُعوا الى اجتماع ، تحرّش بهم بعض الحاضرين واورى نار الفتنة — الفنية — بينهم ، فبدأوا بالمحاورة التي كثيرًا ما تطول. وقد يمنح صاحب الدعوة الفائز منهم صلة مال او حطام ، تقديرًا له.

والمحاورة نوع من البراز ، بل هي براز بمعنى الكلمة الصحيح ، ولكنه براز كلامي. هي اكثر الشعر العامي تشويقاً ، فيها تظهر قوة البديهة ، وتدفق المعاني ، ونصاعة البرهان . فضلًا عن ان الانسان بطبيعته الغريزية ، مولع بالبراز . وما ازدحام الالوف من الناس في اسبانية واميركة وغيرهما من بلاد العالم لمشاهدة ثورين يتناطحان أو ديكين يتناقران إلا دليل واضح على ما نقول .

وللقوّالين ادعاء منتفخ ، ولكنه بريء ساذج . وقد يقصد الواحد منهم زميله من قرية الى قرية ومن بلد الى بلد . ويأخذ كل قوّال من انصاره جوقة يسمونها « الرّدّاده » ، يحمونه اثناء الانشاد فيصفقون له ويهزجون .

و « للردّاده » شأن كبير في غلبة زعيمهم أو انكساره إزاء خصمه.

اما انشاد المغنّي فيكون على نوعين ، كما ذكره شهدان عواد في مقدمة ديوانه :

اولاً : ان كان المنشد يعرف مطلعاً أخذه من غيره ، فيجلس بين الجمهور ، ويتناول دفّاً او دربكة أو ما الى هاتين الآلتين ، ويضرب عليها بيديه بشرط ان يُخرج الصوت موافقاً للانشاد ، فيهيج عواطف السامعين ويطربهم .

وحين يبتدئ بالانشاد يخفض صوت الدف لئلا تفوت الجمهور لذة المعنى ، والجمهور يصغي حتى يتم الردّة (اي اللازمة) . ثم ينقر الدف ، والجوقة يصفقون ويرددون ما قال على اللحن نفسه الى ان ينتهي المطلع الذي ابتدأ به .

واذا كان المنشد مطّلعاً على شيء من القرادي ، انشده بعد نهاية المطلع ، فيكون ذلك داعياً لزيادة التهوس والطرب .

ثانياً : اذا كان في المجتمع قوّالان ، ينقسم الجمهور الى قسمين مع كل قوال قسم . يبتدئ القوال الاكبر سنّاً ويطلب الاذن او « الدستور » من الحاضرين عند تناول الدف ، ويأخذ في الانشاد في موضوع يختاره ويوجه كلامه الى القوّال الآخر . ويجوز للبادئ في القول ان يضع المعنى كما يريد في شكران او الغاز او فراق او وصف او جناس ، ولكن الافضل ان يبدأ بالمطايبة .

يجب على القوّال الموجه اليه الكلام ان يجاوب بالمعنى ذاته مع « مسك الحرف » ، اذا كانت العادة كذلك في محيطه . ففي بعض الجهات لا يعنون « بمسك الحرف » بل يعتبرون الجواب على المعنى فحسبُ .

اذا لم يتوصّل القوال ، الذي يجب عليه ان يجاوب ، الى حلّ الالغاز ، او اذا لم يرصد الحرف ، ينبغي له ان يعتذر ، انشاداً لا حديثاً ، والا يسقط .

لا يجوز للقوّال ان ينتحل اشعار غيره ، او ان يقول اشعاراً قالها من قبل . بل يجب ان تكون له وبنت ساعتها .

هذا ، ويقيمون اكثر الاحايين ، حكماً بين القوّالَين ، يكون عادة من الشيوخ العالمين بهذا الفن ، فيفصل بينهما بحسب ما سمع ويعلن الفوز للذي استحقه .

ودونكم مثال على المحاورة، من ديوان خليل سمعان الفغالي، الجزء الثاني — والكلام بينه وبين جبور ابي جابر البدادوني :

قال جبور :

في مرّه خليلْ سمعانْ شفتو نازل في ميدانْ
حاملْ في ايدو مسأسْ وراكبْ فوق حملة بلّانْ

فاجاب الفغالي :

بالوقت المرحوم خيّكْ قصّه وكلفني فيها :
دَلّلْ عنلاحات بيّكْ وخيّل الكان مستقنيها

قال البدادوني :

يا بو اسعدْ فيكْ علّه بتشوف السهلْ تلّهْ
لو شفت الناقه بالليلْ بتحسبها ترغلّهْ

فاجاب :

اي من شافك ليلْ ونهار يتبلبلْ ويتحيّرْ
ومنكّكْ وهيارك ينشّ وفي اوقات بتتنبّرْ

قال :

في لك ردّات مسبّينْ شبه شباش المحميّينْ
سلباني شرحكْ تتأل بتيبسْ منو شجار التينْ

فاجاب :

كروم التين ونواميها ولو احترقت أراضيها
لازم يبقا لك تينه تا تشتقْ حالك فيها .

والغالب يُعدّ الغلبة على خصمه أمرًا كبيرًا ومفخرة له، وقد يشقّ على المكسور انكساره فيخجل وينسحب او يغضب ويقاتل . قال خليل سمعان الفغالي في وصف احد خصومه المكسورين :

« وكان يرفع الدف في يده الى فوق رأسه، ويثب عن الارض، ويلبط برجليه على رفاقه . »

ثم يقول : « فلما نظرت ذلك قلت له قصيداً وبعده مطلعاً على حركاته التي ذكرناها . »

اي انه لم يخطر بباله ان يسكن حدته ، بل بالعكس استفاد من هذه الحدة ، ورأى فيها موضوعاً جديداً للزراية به مرة ثانية ونكايته ابلغ ما تكون النكاية .

وقد يؤدي ذلك الى نفور يتعدى الجفاء الى السباب والسفه ، والتراشق بالاقداح والكراسي ، وتبادل المدى والعبارات النارية ، فيمزّق الشمل وتعكس آية السرور بينهم ، بعد ان يكونوا جميعاً اكلوا خبزاً واحداً وشربوا خمرة واحدة على خوان واحد . ولكنه نزق قلما يصلون اليه ، والحمد لله .

عروض الشعر العامي

في لغات العالم الراقية ثلاث اعاريض :

اولاً : العروض المقطعية ، ويكون تقسيمها بحسب المقاطع . مستعملة خصوصاً في اللغة الفرنسية .

ثانياً : العروض النبرية ، من نبرة ، والنبرة هي رفع الصوت وتشديده على مقاطع معينة من الكلمات وفقاً لاصول تختلف باختلاف اللغات . ويكون اساسها على محل النبرات . مستعملة خصوصاً في اللغة الانكليزية .

ثالثاً : العروض الوزنية يُعتبر فيها طول المقاطع وقصرها . مستعملة في اللغة العربية وفي كل اللغات السامية .

عروض الشعر العامي وزنية ، أعني تابعة لتفاعيل معلومة هي نفسها التي نراها في الشعر العربي الفصيح . لان الشعر العامي في مجموعه مشتق منه . ولو رجعنا الى المعنى نحلّل اجزاءه لوجدنا فيه الابحر الآتية :

١ً الرجز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن . ثلاث مرات في الصدر ، وثلاث مرات في العجز . مثال ذلك قول رشيد نخله :

ودّعْ وأرمى القلب بعد ان ودعو   وقلي : اصطفل قلبك رجع لموضعو
قرّبت من قلبي جفـل مني وهرب   قلي : معك ما بروح رجّعني معو !

وهذا تقطيعه :

وَدْعْ وَأرْ	مِى القَلْبَ بَعْ	دَنْ وَدْعو
مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن

وَقَالْي أصْطفلْ	قلبك رجع	لا موضو
مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن

٢ً السريع : مستفعلن مستفعلن فعلن . كقول احدهم :

ريح الصبا بحياة غصن البانْ   والوردْ والنسرينْ والريحانْ
من وَيْن جبتِ المسك بجيوبك   تخمين مَرَّيتِ على الحلّانْ

وهذا تقطيعه :

ريح الصبا	بحياة غص	ن البانْ
مستفعلن	مستفعلن	فعلان

ْوالور دوالنْ	نسرين والرْ	ريحانْ
مستفعلن	مستفعلن	فعلان

٣ً الوافر : مفاعيلن مفاعيلن فعولن . مثال ذلك :

صار القبر اقرب من خيالي   وصار الصبر ابعد من منالك

وهذا تقطيعه :

(و) صار القب	ر اقرب من	خيالي
مفاعيلن	مفاعيلن	فعولن

وصار الصب	ر اقرب من	منالك
مفاعيلن	مفاعيلن	فعولن

أما القرادي فلا سبيل الى حصر بحوره فهي كثيرة تتنوع بتنوع فنونه . ولكننا نكتفي الآن بالمعتاد منه ، وتفاعيله هي هذه : مفعولاتن مفعولن ، كقول موريس بشاره :

صارت تشرب سيكارهْ   وتحمل بايدا بستونْ
وما بتركبْ غير سيّاره   وما بترقص غير شارلستون

وهذا تقطيعه :

صارت تشربْ	سيكاره	وتحمل يبابا	دا بستون
مفعولاتن	مفعولن	مفعولاتن	مفعولان

ولا بدّ من الاشارة الى ان هذه التفاعيل لا يجوز فيها شيء . فلا يجوز مكان مستفعلن متعلن ، ولا مكان مفاعيلن مفاعلتن (والتفاعيل معكوسة هنا كما هو ظاهر) . هذا ، وللانشاد في هذه التفاعيل تأثير كثير او قليل . والحان الانشاد في الشعر العامي اللبناني مأخوذ معظمها عن الترانيم الكنسية السريانية ، فترى بعض الاحيان ان البحر لا يستقيم اذا نحن اردنا تطبيق تفاعيله على الفاظه ، يجيء هنا مقطع طويل مكان مقطع قصير او مقطع قصير مكان مقطع طويل الى غير ذلك . ولكن المنشد هو الذي يتكلف تسويتها فتستوي في انشاده .

والقافية في المعنى موسيقية جدًا . لا يجيز القوال لنفسه فيها ما يجيز الشاعر . يستطيع الشاعر ان يستعمل «ظافرون وعالمين» قافية واحدة ، ولكن القوّال لا يستطيع ذلك . فإما ظافرون وعالمون واما ظافرين وعالمين . غير انه مقابل ذلك يشبع الحركة في القافية تارةً وغير القافية تارةً اخرى كقول يوسف بشير :

تركوا مدار الدار لأب الجارية ... عشره تمشر عبد تحت امرا انوجدْ
صبحتْ بانعم بال غرح بالدلال ... تلبس وتشلح كل يوم قفطان جديد

« انوجد » و « جديد » قافية واحدة ، لان الانشاد يذهب الفرق بينهما تماماً .

مزاياه وقيمته

لدينا من المعنى مجموعات كثيرة لاشهر القوّالين مثل منصور الغريّب ، والياس الفران ، وخليل سمعان الفغالي ، وجرجس بشاره ، وشديد غصن ، وسعد الجلخ ، وشهدان عوّاد ، وغيرهم . وهم يدعون هذه المجموعات باسم قصص . فيقولون : « قصة فلان » لا ديوانه . وانهم لمصيبون في ذلك لان هذه المجموعات بمثابة سرد لحياتهم الداخلية ، بما يلاقون فيها من فرح وترح ، وما

بينها من هوس زاه ، ولوعة دامية . فضلاً عن انهم يضمنونها حوادث كثيرة جرت لهم من مصائب وسجن ونوادر ومجالس انس. ولقد طالعنا هذه القصص، وذقنا في مطالعتها لذةً من لذات الفن لم نذقها في مطالعة شعراء كثيرين في اللغة الفصيحة . ونحن نعترف انه اتفق لنا ان نرى اشياء فيها اضطراب في التركيب وسماجة في المعنى ، ولكننا نصرّح باننا لم نرَ قط تكلفاً وتحذلقاً . وانما هي الفطرة مرسلة في مجراها حرّةً من كل قيد . ذلك لان معظم هؤلاء القوّالين يجهلون الكتابة والقراءة ، وهذا الجهل حجاب بينهم وبين التنميقات اللغوية الفارغة بقيهم شرّها ، الذي تورط فيه كثير من الشعراء فافسد عليهم شاعريتهم.

لا ينظم القوّال الا في ساعات وحيه . والوحي لا ينزل عليه الا في اوقات « الكيف » ، كما يقول هو. فتجول به افكاره في شعب حياته وتهيج عاطفته ذاهبةً في تعاريج شجونه ، فينطلق معبرًا عنها شاكياً ، في لغته البسيطة ونغمته العذبة الجارية .

فالصدق هو اذن المزية الاولى للشعر العامي. واذا قلنا عن شعر انه صادق، فقد اعترفنا له بالركن الاساسي الذي بدونه لا يقوم شعر في اية امة من الامم. هو صدق نابض حياة ، ومتشح بوشاح ناصع من السذاجة يشفّ بضحكات ساطعة خلال دموع سائلة قاتمة .

فكه في محاوراته ، طريف في الغازه ، لاذع في هجائه ، عذب في غزله ، شجي في مراثيه ، تلك صفات الشعر العامي التي لا تفارقه. يموج على كل ذلك مسحة من الكآبة صفراء يحاول القوّال ان يموّهها بالاخضرار الباسم ، فتبين على الرغم منه حتى في اشدّ مواقفه طرباً . تلك نفسية الشرقيين عموماً . وما نداء المغني في اغانيه ، لا يفتر يردّد : «يا ليل ، يا ليل ! » حتى يكاد يبحّ صوته وينشف صدره ، وزفرة المنشد في اشعاره بين البيت والبيت هاتفاً : « اوف ، اوف ! » ما تلك اللهجة الحزينة المؤثرة ، الا صدى لفلسفته المتشائمة المستسلمة. تنوء نفسه تحت اعباء الحياة وتكاليفها فيتنهد ، وتجد نفسه سلوى في هذا التنهد وعزاء ، تهزّ على انغامه سرير امالها واحلامها وترقدها ، تريد ان تسكن

من ثورتها وتتحرر من ربقتها ولو الى حين.

في كل مرة ينطلق الشعر العامي في طبيعته التي خلق فيها ، ولغته التي ربيَ عليها يأتينا بالرائع . ولكنه قد يتيه بعض الاحيان ويأخذ في مبالغات فارغة لا يرتاح اليها الا الاطفال ومن هم في مرتبة الاطفال في الافهام . كذكر البعض للحروب ، وما لهم فيها من سيف يقطع ونار توَجَّج ، وهام تتساقط في الميادين تحت اقدام الخيل . ولعلَّ للروايات التي هم مولعون بمطالعتها جدَّ الولوع مثل سير عنترة ، وبني هلال ، والزير ، وعلي الزيبق ، وغيرها ، تأثيراً في ذلك لا يستهان به .

والمصيبة الثانية هي في اعتقاد البعض انهم حسناً يفعلون عند ما يستعملون الفاظاً فصيحة ، واكثر ما يستعملونها في غير مواضعها . او عند ما يُعربون بعض الكلمات ، واكثر ما يكون اعرابها خطأ . وهم لو عقلوا ، لدروا انهم يشوِّهون جمال معانيهم تشويهاً فظيعاً . وقديماً قال الابشيهي في المستطرف : « لا يكون البيت بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة ، فان هذا من اكبر العيوب التي لا تجوز . » وقال منصور الغريب :

قول المغنّى من النحو لا ينطلبْ وان كان عا هالحال ' يا ليلي انخلي '
من وقت ما قرينا سوا فصل الخطاب كتاب الحريري عندنا رتْ وبلي .

اجل يجب ان يفهم الشاعر العامي ان له لغة خاصة ، لها الفاظها الرشيقة الطلية ، وتراكيبها الموجزة الجميلة ، وموسيقاها الشجية العذبة . ومتى فهم ذلك جيداً فقد اتانا بصورة لقومية وطنه القروي ناطقة ، بارزة الخطوط ، زاهية الالوان ، رائعة الجمال ، سامية المعاني والرموز .

قال شهدان عواد في مقدمة قصته : « وفي بعض الاحيان حين يبتدئ القوّالون في الغناء يبدأ الحكم يكتبون حتى لا تضيع الحقيقة . وتعطى الشهادة على هذه المبادئ : غرف من بحر ، قطف من زهر ، نقر في صخر ، وكلام قطر . »

والحق ان هذه هي مزايا الشعر العامي اللبناني : السهولة ، وسموّ المعاني ، ومتانة التركيب ، وعذوبة التعابير .

الاشوريون او النساطرة (*)

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

الهدي

الينا كتاب عنوانه «الاشوريون وجيرانهم» تأليف الدكتور ويكرام، نلفت اليه نظر القراء، ونبدي فيه ملاحظة، ونلخص منه ما تروق معرفته عن الكنيسة الاشورية.

رأى صاحب الكتاب ان الاشوريين او النساطرة المقيمين في بلاد ما بين النهرين انما هم سُلالة الدولة الاشورية الكبرى التي ازدهرت نحو القرن العاشر قبل المسيح، ثم تقلص ظلها وسقطت، ولم تندثر بقاياها كلها، او على الاقل «ليس من دليل واضح على اندثارها التام». وما بقاياها الا النساطرة المقيمون في ديار الموصل، والكاثوليك منهم يدعون الكلدان، ويسمي المؤلف كنيستهم «الاشورية»، ويتخذ برهاناً على كونهم حقيقة احفاد الاشوريين القدماء: انهم قطنوا على مدى الاجيال البلاد التي كانت في قديم الزمان مملكة اشور، وان لهم تقاليد ينتسبون بها الى الاشوريين، وان لغتهم «الارامية» هي في اصلها واحدة مع اللغة الاشورية، وان ملامح وجوههم وتقاطيعها اشبه بالملامح والتقاطيع المصورة على الآثار الاشورية الثابتة الى يومنا.

والدكتور ويكرام انكليزي الجنس، بروتستنتي المذهب. وهو متضلع من تاريخ الشرق القديم، ومطلع على احوال الطوائف «جيران الاشوريين». وكتابه بمجمله اشبه بتاريخ الشرق العام لانه، وان يكن وضع خصوصاً في الاشوريين، فقد يكلمنا على الدول والشعوب التي توالت على تعاقب العصور في ظهورها على مسرح بلاد اشور واطرافها مثل بابل وفارس واليونان والرومان والبارتين والعرب والتتر والترك، وعن الملل التي نشأت في تلك البلاد من عناصر الشعوب الصغيرة التي اخضعتها الدول الكبرى لسلطانها وعن علاقات الملة الاشورية بالغرب وبرومة.

* The Assyrians and Their Neighbours, *by The Rev.* W. A. Wigram. *G. Bell and Sons, London,* 1929.

ولهجة المؤلف في البابا وتعاطيه مع الكنائس الشرقية صادرة عن نظراته الشخصية ، وهي لا تطابق الحقيقة دائماً. فانه ينوه بان الاب الاقدس اشدّ حرصاً على بسط نفوذه على الشرق منه على حفظ الايمان ، وانه يتساهل مع الشرقيين في امر العقيدة ، ويغضّ النظر عن شواذاتهم في ممارسة النظامات الدينية والقوانين الكنائسية على شرط ان يعترفوا بسلطته الرسولية . وهذا القول والحقيقة على طرفي نقيض. لانه ، وان تكن الظروف الجأت الاب الاقدس ، في حين من الاحايين ، الى السكوت او الى غضّ النظر دفعاً لشرّ اعظم ، فلم يرضَ قط بمصالحة من لم يتفق والكرسي الروماني بالايمان والتعليم.

ولا ادري هل يقتنع الاثريون ببراهين المؤلف على « اشورية » النساطرة ? فانهم ان انتسبوا للاشوريين ، فغيرهم ايضاً ينتسب الى ذلك الشعب القديم كالقبيلة الكردية التي ذكرها الجغرافي ركلو (Reclus) ؛ وان سكنوا بلاد اشور القديمة فالاكراد ايضاً سكنوها . اما ملامح التشابه بين صورة احد النساطرة في يومنا وصورة احد الاشوريين القدماء. فليست دليلاً قاطعاً على « اشوريته » وكون لغة النساطرة ارامية الاصل فقد يدل ايضاً على اصلهم الارامي. اما اصلهم الاشوري فانّى لنا ان نثبته بالتأكيد ، وبين برصوما ، مؤسس مدرسة نصيبين ، وانقراض الدولة الاشورية مسافة عشرة قرون على التقريب . او لا يذكرنا ذلك النسب بمن ينتسب الى الاسكندر ذي القرنين من سكان بلادنا الروم الملكيين ? او بمن ينتسب الى المردة من غيرهم ?

ولكن ما بالنا نناقش المؤلف رأياً يسدل على النساطرة ثوب العز والفخر ، وما احرانا بالاصغاء لحديثه عن هذه الفئة المسيحية التي تقربت منا كثيراً بعد الحرب ، وفي هذه الايام. وكتاب الدكتور ويكرام سلس العبارة أنيس المجالسة. يروقنا ان نقتطف للقراء زبدة تعليماته عن الكنيسة النسطورية او « الاشورية ».

* * *

نال النساطرة ما نالهم من الاضطهاد في القرون السابقة للاسلام ، على الخصوص ايام توتّر العلاقات ونشوب الحروب بين بيزنطية والفرس ، لان موقع بلاد اشور غربي المملكة الساسانية ، هو على الحدود بين الدولتين فما ان

تصطدم بملكة بملكة الا وتصطك اطرافها ويحل فيها الدمار . فلما تنصر قسطنطين وأعلن الدين المسيحي ديناً للمملكة الرومانية ، اصبح كل مسيحي في المملكة الساسانية موضعاً للشبهة وموقعاً للنقمة . وكانت تلك النقمة تنهال ويلات على النساطرة اذا افرط ملك بيزنطية بمفاخرته بحماية المسيحيين في الشرق ؛ واذا غضب عليهم الفرس عباد النار وخافوا على دياناتهم من دعاية المسيحيين . وكانت تتوالى الاضطهادات الى ان يحكم في الفرس ملك حليم يرضى للمسيحيين بعض الحرية فتتكون « الطائفة » والملة الاشورية في ظل تلك السياسة المتساهلة . ولم يعرف الشعب الساكن بلاد اشور الجدال الذي القى الاضطراب في الكنيسة عند ظهور اريوس وبدعته ، لكن الكنيسة النسطورية انشقت عن الايمان الكاثوليكي عند ظهور بدعة نسطور . ولعل دواعي الشقاق الاصلية لم تكن عن فساد في العقيدة ، ولكن عن سوء تفاهم في الالفاظ التي كانوا يعبرون بها عن ايمانهم ، ولم يكن معناها محدداً محصوراً كما حددته الكنيسة من بعد ، دفعاً للالتباس . على ان القلوب كانت نافرة من بيزنطية ، وذلك ما حدا بالمسيحيين الشرقيين في الغالب الى رفع لواء البدع تمرداً ، لا على التعليم الكنائسي ، ولكن على السلطة العلمانية المتدخلة بشؤون الايمان وبما هو ليس من صلاحيتها ، فذهب بعضهم مذهب المونوفيزية ، وغيرهم مذهب نسطور ، لئلا يلتقوا وبيزنطية في توحيد كلمتهم . وما عتم ان انقلب الخلاف في الكلام انقساماً في العقيدة وخلافاً حقيقياً نشأت منه الطوائف .

ولما فتح الاسلام الشرق المسيحي ، كان ذلك الانقسام بين المسيحيين اعظم مساعد للفاتحين على تملك الاعناق ؛ فساعدوا عليه وجعلوا لكل بدعة او طائفة كيانها الادبي واستقلالها الاداري ، ومتعوها بامتيازات خالها الجهال خيراً ، انما هي التي كانت الضربة القاضية على وحدة المسيحيين واتفاقهم ، وهي التي لا تزال نتائجها الى يومنا تزرع الفتن بين طائفة وطائفة وبين كنيسة وكنيسة حتى في منطقة واحدة بل في قرية واحدة .

فتح العرب بلاد الشام وفارس فاتخذوا معلميهم ومهذبيهم من النساطرة . وكان هؤلاء يرسلون شبانهم الى مدرسة الرها الشهيرة . ثم جلس على كرسي

الاسقفية برصوما النصيبيني فانشأ في مدينته معهداً للعلوم ، وهذب فيه شبان ملته على مذهب افلاطون وارسطو ولم تلبث ان ازدهرت مدرسة نصيبين . فلما نظر الخلفاء الى الامم التي اطاعتهم وجدوا السريان النساطرة اقرب اليهم لغة من غيرهم فعهدوا اليهم بالتعليم والترجمة . فالتقى العرب واليونان على ارض اشور وكان الفضل بتآلفهم للنساطرة .

وبلغت الكنيسة النسطورية اوج عزها في تلك الايام ، فعدت ٢٥ متروبوليتاً والين للبطريرك تيموطاوس . وكان لها اسقف في دمشق ، وآخر في اورشليم . وكان الشعب النسطوري مقداماً على العمل ، غيوراً على الدين . فساح في البلاد وبلغ سومطرة والمالابار والصين ، وبشر بالمسيح ورحل اساقفته الى الشمال وعاشروا الاكراد وسكنوا تحت الخيم ، وبشروا في الجبال .

قال المؤلف : « ان المسيحية هي شرقية الاصل ، واذا عرضها الشرقيون على الشرقيين فقد تظهر كانها وضعت خصيصاً لاجلهم . سارت الكنيسة « الاشورية » من غير ان تتجهز بما تتجهز به الجمعيات التبشيرية في عصرنا من امتعة واموال ، ومدت فروعها بنموها الطبيعي في تلك الاقاليم ذاتها التي طالما طمعت الارساليات المسيحية بفتحها في يومنا . منذ اوائل القرن السادس ظهر في مرو وفي هراة وفي سمرقند ، اساقفة ورؤساء اساقفة ! لو اتيح لنا اليوم ان نرى طائفةً مسيحية في تلك البلاد من اهاليها ذاتهم ، فاي عزيز او ثمين لا نبذل للحصول عليها ؟ اما المؤسسات المسيحية النسطورية فقد تأصلت في البلاد وصارت وطنية تماماً حتى سموها « المعابد الفرسية »

وحدثت الحروب الصليبية وزحف المغول من اواسط آسية على بلاد ما بين النهرين ، ولم يكونوا مسلمين بل كان في معسكر ملكهم رجال من الاكليروس النسطوري واللاتيني . فارسل خان المغول الاكبر يهب الله البطريرك النسطوري المذهب ، الصيني المنشأ ، الى البابا سفيراً خاصاً من قبله . ولم تتضح غاية تلك الوفادة ، وربما صدرت عن السلطان باغراء احد رجاله المسيحيين على امل اجتذاب المغول الى اعتناق المسيحية . ولعل السلطان طمع بالتقرب الى البابا عسى ان ينال بواسطته نجدةً على دولة المسلمين مناوئيه .

اما يهب الله فرض وانتدب احد اقربائه المدعو صوما ليقوم بالسفارة مقامه. فجال صوما بلاد الغرب ، وحلّ رومة عند ارتقاء البابا نيقولاوس الرابع السدة البطرسية . فاكرم الاب الاقدس ضيافته . اما استنهاض همم الصليبيين نجدةً للمغول ، فلم يكن من سبيل اليه بعد ما سببته الحروب الصليبية من الخسائر للافرنج . لكن البابا بعث رهباناً من الفرنسيسكان الى المغول ليلشئوا ارساليةً مسيحية في بلاد التتر . وفي غضونها سقطت عكا من ايدي الصليبيين سنة ١٢٩١ . وتوفي السلطان المغولي صديق المسيحيين ، وخلفه في الملك غازان . فاعتنق الاسلام هو وشعبه . وخابت من ثم آمال المسيحية بتنصير المغول . وما كل فرصة تنال !

هذا ! ولو ان المسيحية في الشرق ظهرت عزيزةً ، قويةً ، غير مقسّمة ولا مشوّهة بالوان البدع ، لاستهوت قلوب المغول او الاتراك ، وهم في ظلام الوثنية ، يستهدون الى اعتناق ديانة يتخذونها ديانة قومية لهم . ولو تنصر الاتراك ايّ خير لم يكن ليرجى من تنصرهم ، وفيهم ، على صلابة عودهم وقساوتهم ، الصفات الحسنة التي كانت سوف تزدهر فيهم ازدهارها في امثالهم من الشعوب الاوربية البربرية بعد ان دخلت في طاعة الانجيل ، ونالت منه روح الكرم والكفران بالذات والمروءة المسيحية ، ففتحت العالم للعمران وهذبت الذراري المالكة على اعناق الانام .

وكانت احوال الطائفة النسطورية في بلاد الموصل ، على العهد التتري والعهد التركي ، كاحوال سائر الطوائف المسيحية . اجتاح تيمور البلاد ، وعاث فساداً في ما بين النهرين والموصل ، واعمل السيف في المسيحيين ، فاهلك اكثر من ثلاثة ارباع القاطنين ديار الموصل . اما الباقون فتبدد شملهم في جبال هيكار وما عتموا ان لموا شتاتهم ، وانضموا الى بواقي المسيحيين الذين اقاموا في الجبال وفي منطقة بحيرة اورمية ، فانبعثت حياتهم الطائفية من موتها . ولكن الاضطهادات التي دامت زهاء ٢٥٠ سنة أثرت في حياة الشعب الدينية فاضطربت احواله ، وتزعزعت اركانه ، وذلك ان وظيفة البطريرك اصبحت محصورة بين اعضاء اسرة واحدة ، اذ انه كان حالما يتقلد وظيفته ، يسمي خلفه من بعده ، وان كان ولداً قاصراً . فكان اختراق حرمة القوانين في انتخاب رئيس

الاكليروس مدعاة للانقسام في الملة .

في السنة ١٥٥٢ ، توفي البطريرك شمعون بار ماما ، فقام ابن اخيه شمعون دنكا يطالب بالبطريركية لنفسه . فخالفه الكثيرون وانضموا الى رئيس دير ربان هرمز بالقرب من الموصل ، واحتجوا على اختراق حرمة قوانين البيعة في تعيين احبارها ، ولجأوا الى البابا . وكانت تلك الحوادث اصلاً للحركة التي نشأت منها الطائفة الكلدانية الكاثوليكية .

وفي الحرب المسكونية حاولت تركية ان تقنع رعاياها المسيحيين انها تريد موالاتهم وخيرهم . وما عتمت ان قامت عليهم تمزقهم وتبيدهم ، فطرحتهم في لجة اليأس . واشعر النساطرة المقيمون في بلاد الموصل ، وبجوار بحيرة اورمية بدنوّ اجلهم ، وقد سلح الاتراك الاكراد عليهم ، فلاذوا بحمى روسية ودخلوا في مصاف المتحالفين وتسلحوا وتمنعوا بجبالهم . ثم سقط القيصر ، وتضعضعت اركان روسية ، وانقطعت مساعدة الروس للنساطرة ، ونفدت الذخيرة بين ايديهم ، وقتل بطريركهم مار شمعون اغتيالاً على يد الاكراد ، واحاطت بهم الاهوال ، فعقدوا العزائم على الرحيل الى بغداد ليدخلوا في حمى السلطة البريطانية . شدوا رحالهم وساروا وقطعوا مسافة خمس مئة ميل من جبال واودية ، في بلاد انقلب سكانها عليهم كالعقارب . فمات منهم من مات ، ونجا من نجا ، الى ان بلغوا دار السلام فاسكنتهم السلطة البريطانية بعقوبة شمالي بغداد على نهر ديالى .

واظهر العسكر النسطوري او الاشوري بأساً وشجاعة أعجب بهما ضباط الانكليز . فكونوا منهم فرقة جهزوها بالمعدات واعتمدوا عليها في شؤون العراق الحربية . ومضت ايام الحرب المسكونية ، وها ان الاشوريين يتوقون الى العودة الى جبالهم والى تكوين وطن قومي . وقد يخاف عليهم صاحب الكتاب ، الذي اخذنا عنه هذا المقال ، ان تتحد كنيستهم بالكنيسة الكلدانية الكاثوليكية فتضيع هويتها وتنقرض بذلك « سلالة ابراهيم » . ولكن لا خطر عليهم من الانقراض باتحادهم بالكثلكة ! لان ابناء الكنيسة الرومانية ، على اتحادهم بالايمان والخضوع لخليفة المسيح ، لا ينفكون محافظين على قوميتهم فهذا يكون انكليزياً وذاك ارمنياً وهذا « اشورياً » الخ . . . ويكونون جميعهم مسيحيين كاثوليكيين .

في مدينة العذراء

زيارة مؤمن

بقلم ميشيل سليم كميد

٢

وصف الكاتدرائية

« اذهبي وخبّري الكهنة ، ان يشيدوا كنيسة
هونا ، ويقيموا التطوافات . »

كلمة العذراء لبرنادت — الظهورة الرابعة عشرة

انتهيت من درب الآلام ، فلمَ لا احضر القداس ؟ ارتقيت درجات الكنيسة ، فوجدتها مزدحمة بالمصلين حتى الباب الاكبر . فاخترقتهم وانتقيت مكاناً قصيا وراء احد الاعمدة الضخمة ، لا اضايق احداً ، ولا يضايقني احد . واستكنت اسمع القداس . وكانت الكنيسة هادئة مع ازدحام الداخلين والخارجين .

ولعلك تميل الى سماع وصف الكاتدرائية الشهيرة ، فهي بالحقيقة ليست كنيسة واحدة ، بل واحدة فوق اخرى ، يتوسطها ناووس .

فالكنيسة العليا ، وهي الكبرى ، مشيدة على الطراز القوطي ، طراز القرن الثالث عشر ، مقامة على صخرة مرتفعة على جانبها الايمن مغارة الظهورات . وما تكاد تلجها حتى تأخذك تلك المنحنيات الرشيقة والتقوّسات النحيفة ، والدعائم الهائلة الجميلة . وتجد الاعلام والرايات المهداة من الفرق والجيوش والجمعيات وغيرها الى الكنيسة هنا وهناك مدلاة من السقف كالسجوف البديعة ؛ ثم الاوسمة والنياشين والرتب العسكرية والبراءات ، تكسو الجدران ، وتزين المسالك . واذا ادرت بصرك نحو زجاج المنافذ ، وجدت تاريخ السيدة العذراء لها المجد مرسوماً على الواحها . وذلك ببسط قضايا الحبل

بلا دنس ، منذ الخليقة الى قراز بيوس التاسع السعيد الذكر . ثم هناك خمسة معابد على كل جانب منها . وفي كل منها مذبح كبير . وكل معبد يضم عادة في نافذته ايقونة عليا كبيرة ، واخرى تحتها صغيرة ، وتمثال قديس على المذبح ، وبعض صفحات مرمرية نذورية. وكل ايقونة تمثل حادثة من حوادث الكنيسة الكبرى. وعلى الاغلب تمثل الايقونة العليا برنادت وحوادث لورد العجائبية . . . وفي مقدمة الكنيسة عدة مذابح اخرى تتألف كالسابقة . وجميع هذه لا تهدأ بها القداسات ايام الزيارات لامتلاء لورد بالكهنة الوافدين من جميع الانحاء .

ونصل الى الناووس (Crypte) ، الذي يمتد تحت الكنيسة العليا مسافة طويلة ، وعند ما تدخله تجد في مدخله ايقونة كبيرة تمثل السعيد الذكر البابا القديس بيوس العاشر ، يواجهه تمثال هامة الرسل واول رئيس للكنيسة الرومانية المقدسة ، القديس بطرس . وهو نسخة لنصبه في الفاتيكان ، الذي صنعه لاون الاول ، بعد تقهقر اتيلا . . . ومن العادة ان تقبل قدم التمثال اليمنى . ولكني لم الثمها ، بل وقفت وصليت وتمتمت صلوة قصيرة . . .

بعد هذا تسير في دهليز طويل ، سعته ثلاثة امتار ، وفي منتهاه الناووس وفيه خمسة مذابح كبيرة ، على كل منها نصب قديس ، وعلى كل زجاج نوافذه رسوم حوادث ملونة كما في الكنيسة العليا . . . والناووس ساكن هادئ لا يدخله إلَّا طلَّاب التأمل والاعتراف ، أو لاجل مباركة اشياء تذكارية ، او من يريد الرياضة الروحية . واهم ما فيه تمثال البتول الطاهرة على المذبح الرئيسي ، وقد قالت الطوباوية برنادت انه اكثر النصب شبهاً بالعذراء في ظهوراتها .

واذا انتهيت من الناووس ، وانحدرت باي السلمين الجانبين الى الكنيسة السفلى ، المعروفة بكنيسة الوردية ، تراها على شكل مستدير بديع ، وبها خمسة عشر مذبحاً عظيماً من الرخام والنحاس . وتضم من المعابد والايقونات ، وزجاج النوافذ المصور وسواها ، ما يماثل ما في الكنيسة العليا .

مغارة الخوارق والمياه المقدسة

« اذهبي اشربي من العين واغتسلي »

الظهورة التاسعة

اما المغارة التي ظهرت فيها العذراء المجيدة للفتاة الراعية برنادت سوبيروس ،

ثماني عشرة مرة ، فهي نقرة في صخرة عظيمة تعلوهـا الكنيسة الكبرى ، سوداء الحجارة من دخان الشموع المشعلة على مدى هذه الاعوام الطويلة . وقد اقيم في المكان الذي اشارت اليه الطوباوية برنادت كموقع ظهورات العذراء ، نصب بالحجم الطبيعي ، يعلو ثلاثة امتار عن الارض. وقد اكتظ سقف الثغرة وخارجها بالعكاكيز والركائز ، وادوات اخرى كثيرة ، مما تركه المرضى الذين نالوا نعمة الشفاء فيها ... وعلى المدخل حاجز ذو فتحتين للدخول وللخروج .

وقد دخلت عصر ذاك اليوم — قبيل الزياح القرباني — مع بعض الزوار . وهم يسيرون في صف ، واحداً بعد آخر ، يراقب هذا النظام بعض الكهنة خيفة الازدحام والتشويش . لاسيا وذلك المكان يعج بالالوف ... ولجت المدخل وبيدي شمعة اشعلتها في محملة الشمع . فالفيت صخرة فاحمة اللون دخناء ، يلثمها الزوار في مرورهم ، تقع تحت التمثال . فدنوت في رهبة وسكون . وادنيت شفتي فلثمتها .

وانتهيت الى الباب التالي ، فاذا بي امام اجران المياه تعلوهـا لوالب تحمل اليها ماء الصخرة العجائبي في قساطل ... وكم كان خجلي عظيماً ، وانا دون طاس للشرب . فما العمل ؟ احترت في كيف عساي اتدارى موقفي الحرج . ووددت ان افلت من هذه الورطة . ولكن الحبل المشير للطريق يحول دون الهرب فكأنني في حبس .. ولم يتركني تدفق الزوار ان اتريث . فاندفعت بضغطهم الى الامام نحو الاجران . فسرت مضطرباً على مضض . ودنوت من لولب تناولت منه بكفي شرقة رشفتها على عجلة ؛ وهممت نحو المنفذ !

لورد في العالم

مما يجدر التنويه به ، ويشير الى مكانة لورد خارج العالم الكاثوليكي ، ان زرافات عديدة تهبطها من اتباع وارباب المذاهب المنشقة . ولقد شهدت حادثة من ذلك النفوذ البليغ . فقد استوقل القطار الذي قدمت به ، في محطة بايون (Bayonne) ، اسقف وسبعة كهنة ، ومـا ينيف عن العشرين من الالمان البروتستان . وكان من حظ حافلتنا ان تؤهل باكثرهم . وكان بعضهم على مقربة مني ، وانا في مسلك العربة ، اسرح النظر وامتعه من النافذة بمناظر

فرنسة البهجة الساحرة.

كثيراً ما يتعرف الانسان في تجواله الى رفقاء السفر ، وكثيراً ما يتعمد الحديث معهم ، أو قد تجر اليه الظروف او حادثة ما . ولست ادري كيف اتصل بيننا وصل الكلام . فوجدتني اخوض معهم في غمار حديث طريف — والحديث ذو شجون كما يقولون — فطفقنا نقتحم مبحثاً الى آخر ونطرق موضوعاً ننتقله الى سواه ، قتلاً للوقت وطلباً للتسلية . فخضنا في ذكر المانية كمطلب سياحة وتجوال ، فزينوها لي . وامتد بنا الكلام الى تفقد البلدان الاخرى كمتزه وملهى ، فالى الحرب العظمى ، ونصيب الدول فيها وسواها . واتفق ان وقف القطار في العراء قبل لورد لامر ما ، ونحن على رمية منها . فسألني احدهم اين اطلب . فبثثته بغيتي . وما لبثت بدوري ، بهذه المناسبة ، ان سألته اين يقصدون . فاظهرني انهم ايضاً على قصدي . لان هذه الايام هي اوان الزيارة الوطنية (الافرنسية) وبها تزهو لورد وتميس في حلل زاهية نضرة من المراسيم والاحتفالات الدينية البهية الآخذة بمجامع القلوب . فتعجبت عمداً — كيما استجر مقاله — والمحت الى بروتستانيتهم . فاجابني ان ليس بهذا عجب . وليس المذهب « بالشيء المهم في عرفه » ، ولا غرابة ، فان هذه هي المرة السابعة التي ينزل بها البلدة المقدسة . وسواء عنده الاديان اجمعها ... ثم ذهب يبسط لي باسهاب روعة الحفلات الدينية ونشوة جلالها التي تعتري مشاهديها . وابلغ في سرد ماهية ما يكتنف المرء من الرهبة والتأثر اوان منح بركة المرضى والمنكوبين التعساء . وافاض انه ، وهو غير متشيع لدين ما دون آخر ، « تؤثر فيه مشاهد لورد الى درجة عظيمة ، قلما تعتريه في سواها ، بل يود ان لا تفلت منه فرصة قط لحضور احتفالاتها وزياراتها الاهلية ، واشار الى انه يكاد يصدق جميع ما تهتز به لورد حيناً بعد آخر ، من العجائب وحوادث الشفاء النادرة الخ » ... الى ان وقف القطار في البلدة المنشودة فختم كلامه بان دعاني الى نزل هيتز الشهير ، حيث هم عازمون « كي نكون معاً » . فاعتذرت له بوعدي احد الكهنة بموافاته الى نزل آخر . وتأسفت لعدم مرافقتهم . ونزلنا وتفارقنا ، وكان آخر العهد بهم .

ولست في حاجة الى ان اشير الى ان النزل المذكور يزدحم عادة باتباع الفرق البروتستانية من الشعوب السكسونية ، وهذا ما علمته اثناء مقامي بلورد ، مما يدلك على سعة نفوذ لورد بين الشعوب قاطبة ، ومبلغ صيتها . وقد شهدت عدداً عديداً من قساوسة البروتستان اثناء التطواف القرباني يلتقطون مراسيمه وفرائضه بالآلات الفوتغرافية والسينمائية .

السينما الدينية

وفي لورد شهدت لاول مرة شريطاً سينمائياً دينياً ، كان عظيم التأثير عليَّ . فقد عرضت على اللوحة الفضية استشهادات بعض القديسين الاتقياء ، وهم يبذلون انفسهم بلا ادنى مقاومة في سبيل الدين المقدس . فناجيت نفسي : متى ارى امثال هذه الافلام ، تتبوأ مكانها على مراسح السينما المعهودة .

وبهذه المناسبة ، اذكر ان في باريس جمعيات تقوية تألفت خصيصاً من كبار الافرنسيين العلمانيين والدينيين ، لمراقبة الافلام العامة ، ونشر الملاحظات عنها في جرائد ومجلات خاصة . وبين يدي الآن مجلة « الصداقة الافرنسية الكاثوليكية »[1] وبها تقرير عن المؤتمر الثاني للجمعية السينمائية الكاثوليكية به بحث كافٍ عن الوسائل اللازمة لنشر الثقافة والآداب الكاثوليكية بواسطة السينما . ثم مراقبة الافلام الاجرامية . وتحذير الجمهور من شرها اللعين . وانا لنأمل ان يمتد أثرها ، ويقوى حولها ، فتعزز بذلك آدابنا ، وتسمو اخلاقنا . وان ذا لقريب !

اللبناني الوحيد

مما اذكره بحرقة ومرارة ، ولن اغفله قط ، هو كم كانت صدمتي عظيمة حين تحققت اني كنت السوري اللبناني الوحيد ، وسط تلك الخلائق الكثيرة . فقد استوضحت جميع من اتصلت بهم من كهنة ودنيويين وتصفحت جميع الوجوه ، ونقبت جميع الجماعات ، عساي اقف على وطنيّ لي . فكنت كصاحب بغية تائه ، اقتحم تارة هؤلاء ، واخترق اولئك اخرى . وكانت النتيجة واحدة .

(١) Les Amitiés Catholiques Françaises – 15 décembre, 1929. p. 17.

ولست انسى خجلي ، وقد وقع في روعي ما صغر نفسي في عيني ، حين علمت ، وحيدًا ، لا عشير لي من ابناء وطني يقدم معي للبتول الطاهرة شعائر الزيارة ، ويقوم ببعض فرائضها . وكيف لا اتأثر ، وقد بلغ جمع الزوّار — حسبما قرأته في جريدة « منارة لورد » — نيفًا وتسعين الفًا ، ايام الزيارة ، ليس بينهم من ابناء فينيقية سواي ! اجل كيف لا تنسحق نفسي والحقيقة المؤلمة تجابهني بما فيها من قسوة ! لم يدفع عني لطف وايناس ارباب الفندق ، وجميع من تعرفت بهم ، غائلة الكآبة في ذكري تقصير ابناء بلادي نحو والدة الاله ، الاله الذي بذل نفسه ضحية زكية لفدائنا !

فكرت في هذا الامر . وتساءلت لماذا لا تذهب وفود زوّار من بلادنا الى لورد ، ولماذا لا نقتدي بفرنسة . فيذهب جمع من سورية ولبنان ، كما تذهب الجموع من اقاليم فرنسة ومقاطعاتها المختلفة ؟ احياء في الدين ، أم ضعفًا في الايمان ؟

ثم لِمَ لا نكمل امرًا ، ان لم يكن فريضة محتمة ، فادنى ما فيه انه مظهر ديني جليل ، فنقوم به اسوة بسوانا من الامم والشعوب. اتخال فيه هضيمة ومهانة ، وها ان اعظم الدول واحقر الشعوب ، تأتيه جزلة مختارة ؟ وكفى بفرنسة قدوة — وهي التي يعدها بعض صغار العقول موئل الالحاد وكنف اللادينية — أجل ففيها لنا مثال ناطق ، ومن شهد موسم الزيارة الاهلية الافرنسية ، وابصر تلك الربوات الوافدة على المدينة المقدسة من شتى الاقاليم ، اقرّ صاغرًا مفحمًا بما يسود الشعب الافرنسي النبيل من العواطف الدينية ، واقتنع ايضًا ان الشعب ايضًا من اشد شعوب الارض تمسكًا بالدين وتعلقًا باهداب تعاليم الكنيسة المقدسة . ولقد شهدت بعينيّ ، في لورد وليزيو ، ما شعرت به في باريس من هذه المظاهر ، في احتشاد واكتظاظ الكنائس العديدة ، في ساعة الظهر ، بل في ايّ برهة من النهار ، بجماهير المتعبدين ، مما أيد لي تعلق الافرنسيين واعتصامهم بروح الدين . وعليه ما احرانا ان نكون نحن ، ابناء منبت الانبياء والرسل ، في الاقتداء بفرنسة ، وما احرانا ، ونحن تحت اشرافها وانتدابها ، ان نعد انفسنا بمثابة اقليم من اقاليمها ، فنوفد ايام الزيارة

الافرنسية جماً يقدم لسيدة لورد الطاهرة ، فرائض الزيارة ! ؟

وقد علمت اتفاقاً هناك ، من صاحب النزل ، ان المنسنيور عقل — ان لم تخدعني ذاكرتي — ام لورد ، مستصحباً عائلته الكريمة ، فاقام بها ، العام المنصرم ، شهراً وبعض الشهر . فحبذا لو سعى سيادته ، بما له من نفوذ ومكانة ، في تأليف جماعات من شرقنا العزيز لزيارة سيدة لورد !.

المبارحة

ولج القطار مزمجراً بين الهضاب والاودية ، قاصداً رين عاصمة بريطانية . ولمعت كنيسة العذراء ، سيدة لورد ، من خلال فجوات الجبال ، وبرق صليبها الذهبي اللامع على محياها الزاهر ، فسرت في المسافرين رهبة وروعة . واستولت عليهم رعشة هزت ايديهم هزاً ، فارتفعت بسكون راسمة بخشوع اشارة الصليب المقدس . . . واشرأبت اعناق ، وحملقت اعين من خلال نوافذ حافلات القطار ، ومرت حبات المسابح بين الاصابع ، فتمتمت جميع الشفاه كلمات خافتة مبهمة ، وامتلأت العيون ببعض دمعات حزن وفرح . وارسلت تنهدات حرى صعدت جميعها الى العلى كنشوز حمد وشكر وتقوى !

ونظر الحفل المحتشد في مسالك الحوافل الى بعضهم بعضاً ، كأن ثمة لسان حالهم يناجي الباري تعالى : هل من عودة لهذه الربوع المقدسة ؟

وكان آخر مشهد من لورد ، لحظة ما هي بالثانية ، مشهد حشد الزوار في باحة الكنيسة ، سجداً خشوعاً ، امام ابن الله المتأنس ، المطاف به في الزياح القرباني المؤثر .

وامعن القطار ، فاستترت لآخر مرة عن الانظار كنيسة لورد وصليبها الذهبي ، وراء الشامخات الشائبات ، والجمع لم يبرح المنافذ محملقاً متمتماً زافراً . . . وفي الافكار جائشات ، وفي الصدور اهتزازات ، وفي الافئدة آمال وتأملات ! ! . . .

يا سيدة لورد صلي لاجلنا !

الجزائر في مائة سنة

١٨٣٠ – ١٩٣٠

لحضرة الشيخ سليم الدحداح

نشرنا في عدد ايار الفائت لحضرة الاب لوفنك اليسوعي ، بحثاً بعنوان « التذكار المئوي لاحتلال الجزائر » درس فيه حالة تلك البلاد من حيث الرقي الاجتماعي والديني خصوصاً . ثم اتانا المقال التالي من حضرة المؤرخ الشيخ سليم الدحداح ، وقد جال في الموضوع جولة تاريخية تتمم البحث السابق ، فنشرناه شاكرين.

في هذه السنة ١٩٣٠ تتم تذكارات قرنية عديدة . فالكنيسة الكاثوليكية بالعموم ، وكنيسة افريقية بالخصوص ، تحتفل بمرور ١٥٠٠ سنة على وفاة معلم الكنيسة العظيم القديس اغوسطينوس اسقف هيبّونه (في الجزائر) . والشعب اليوناني احتفل في ٣ شباط بمرور مائة سنة على توقيع معاهدة لندن بين فرنسة وروسية وانكلترة التي قررت نهائياً استقلال دولة اليونان استقلالاً تاماً . وقد ابتدأ شعب بلجيكة وحكومتها بالاحتفالات بمرور مائة سنة على مناداة بلجيكة بالثورة على حكومة هولندة ، وطلب الاستقلال عنها . وكذلك يستعد المصريون للاحتفال بمرور مائة سنة على ولادة اسمعيل باشا ، ذلك الخديوي العظيم ، والد جلالة الملك فؤاد الاول ، والذي عمل الاعمال العظيمة لتشييد عظمة وتمدن مصر وهو الذي قال عن بلاده انها لم تعد تحسب من افريقية.

ولا غرو اذا اشرك كل هذه الشعوب الشعب الفرنسوي باحتفالات اعياده الوطنية ، لانه كان لفرنسة اليد الكبرى في كافة الحوادث التي يحتفلون بتذكاراتها ، فتظهر هذه الامم معرفتها جميل هذا الشعب الكريم وهذه البلاد

التي هي الوطن الثاني لجميع اهالي الارض.

على ان فرنسة تحتفل هي ايضاً بتذكار أولاها المجد، ويجدر بجميع الامم، وبالاخص جميع الشعوب الساكنة شواطي البحر المتوسط، ان يشاركوها في احتفالاته. اعني بذلك مرور مائة سنة على فتح الجزائر. وقد رأينا ان نروي لقرّاء «المشرق» بعض امور تتعلق بهذا الفتح العظيم، وبعض ما اجرته فرنسة في تلك الاصقاع خلال هذه المائة السنة.

انه ليصعب على عقولنا، ونحن نرى الآن عظمة دول اوروبة، ان نتصوّر ما كانت عليه شواطنها والملاحة في البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون. فقد كانت شواطئ بلاد المغرب منذ منتهى حدود القطر المصري الى جبل طارق، وعلى الاخص القسم الغربي من هذه الشواطئ، منبعاً للصوص يغيرون بمراكبهم السريعة فينقضون على المراكب التجارية ويستولون عليها، ويستحضرونها بكافة محمولها وركابها الى موانئ بلادهم، فيقتسمون ارزاقها وخيراتها، ويستعبدون من يستبقون من رجالها في قيد الحياة. وهناك تبتدئ حياة التعاسة والشقاء لهؤلاء العبيد، فقد كان اسيادهم يذيقونهم جميع انواع الهوان، الى ان يحسن لديهم اماً قبول الاموال التي تتقدم فديةً عنهم من جمعيات رهبانية اخذت على نفسها الاستعطاء في كافة اوروبة لهذه الغاية، واماً التلذّذ برؤيا موتهم في وسط العذابات. وكثيراً ما كانوا يسرّون بان يتركوا علامةً في اجساد من يطلقونهم من الاسرى كقطع انفهم او اذنهم، او تعطيل الاعضاء التناسلية فيهم، وبالعموم تشويههم بصورة مريعة. وقد قضى عدد لا يُعد من الوف المسيحيين في اسر ذليل في الجزائر وتونس ومراكش، في خلال القرون الثلاثة التي تنتهي في سنة ١٨٣٠، ويكفينا ذكر الشاعر الاسباني الشهير سرفانتيس مؤلف دون كيشوت الذي وقع في اسرهم سنة ١٥٧٥ وقضى عندهم خمس سنوات، وافتداه الرهبان بستمائة ريال، فاطلقوه مشوهاً. والقديس منصور دي پول الذي وقع في اسرهم سنة ١٦٠٦ وعاد من هناك، بعد ان تمكن من تنصير سيده.

وقد كان حكّام تلك البلاد الناشئون يتلذذون بان يذيقوا جميع الاجانب المسيحيين انواع الهوان، غير محترمين صفة القناصل او المعتمدين السياسيين ولا

الرهبان او الاشخاص المتحايدين . فكانوا اثناء غيظهم ، او حين ما يخطر على بال تعصّبهم ، يأمرون بطرح هؤلاء المتمدين بالسجن ، او يرمونهم في افواه المدافع بعد ان يعتدوا على اعراضهم فيبتولوا على نسائهم وبناتهم . وقد ظلت اوربة مدة طويلة محتملةً هذه الاهانات والاعمال اللصوصية. نعم ان الامبراطور شارل الخامس (Charles Quint) في القرن السادس عشر ، ولويس الرابع عشر ، على ثلاث مرات مختلفة في القرن السابع عشر ، ارادا تأديب هؤلاء القرصان . الّا ان الاول عاد خائباً ؛ واما الثاني فقد حصل في كل مرة على نوع من التعويض . على ان القرصان كانوا لا يلبثون ان يعودوا الى اعمالهم .

وفي بداية القرن التاسع عشر قصد نابوليون الاول ان يؤدّب والي الجزائر . لكن ضعف قواته البحرية ، ودوام حروبه البرّية مع دول اوربة حالا دون قصده . وهكذا استمرّت دول اوربة تؤدي للداي الجزية سنوياً للحصول على عدم التعدي على مراكبها .

واول من استنكر هذه الحالة دولة الولايات المتحدة . فقد ارسلت اسطولها لضرب شواطىء الجزائر ، وتمكّن اخيراً القبطان ديكاتور من اجبار داي الجزائر على التنازل عن هذه الجزية . وحذت بعد ذلك انكلترة حذوها ، فنال الاميرال اللورد اكسموث في سنة ١٨١٦ ، اعفاء انكلترة من هذه الجزية . امّا فرنسة فكانت منذ سنة ١٨٠٠ في خلافٍ على حسابات مع بعض رعايا الداي ، واخيراً ادّى ذلك الخلاف الى الحادث الذي كان سبباً للحرب .

أتى المسيو ديڤال قنصل فرنسة لمعايدة الداي حسين حاكم الجزائر بعيد الفطر ، في ٢٩ نيسان ١٨٢٧ ، فانتهره حسين مطالباً اياه بالجواب . واخيراً انتهى به الامر الى ان ضربه بمروحته قائلاً له «انه ما من شيء يمنعه عن القائه في السجن» فاجابه ديڤال بجدّة : «لا يجوز لك ان تمسّني ، ولا بدّ ان ترى كيف يأخذ ملكي بثاري» فصرخ الداي : «اني اخاف ملكك بقدر ما اخافك . اذهب من امامي فانني اطردك» فخرج ديڤال وعاد الى فرنسة مع رجال قنصليته على المركب «لابروفنس .»

كانت فرنسة حينئذٍ في عهد الملك شارل العاشر ، ووزارة دي ڤيلّال الشهير .

فاغتاظ الملك لهذا الامر وارسل في ١٥ حزيران اسطولاً مؤلفاً من اربعة مراكب كبيرة ، و ١٨ قطعة صغيرة ، لحصر شواطي الجزائر والتضييق على تجارتها ، ليحمل الداي على الاعتذار. فكان الجزائريون يسخرون بهذا الحصار ، وكثيراً ما ألقت العواصف المراكب الصغيرة على الشواطىء ، فكان يلقي الجزائريون القبض على البحارة ويذبحونهم ويعلقون رؤوسهم على ابواب المدينة.

اخيراً بناء على مداخلة البعض من المتحايدين بان الداي يرغب في اعادة المخابرات ، ارسل قائد الاسطول احد كبار رجاله في تموز ١٨٢٩ تحت العلم الابيض المتحايد ، فدخل مرسى الجه ونزل الى البرّ فتخابر مع الداي بمداخلة وحضور قناصل بعض الدول ، فلم تسفر المخابرات عن شيء . ولما خرج المعتمد المذكور على مركبه « لابروفنس » وهو رافع العلم المتحايد أطلق عليه الجزائريون المدافع رغماً عن قوانين حقوق الدول . ولكن المركب بقي سالماً وظلّ ماخراً حتى خرج من الجه ، بدون ان يجيب بالنار على هؤلاء القرصان. فقرّ حينئذٍ رأي الملك شارل العاشر على ان يأخذ بالثأر . لكنه امام مقاومة الاحزاب المعاكسة تردّد اولاً في ارسال جيش ، فقصد ان يحمل محمد علي باشا حاكم مصر على تأديب الداي واعداً اياه بمصاريف الحملة . وقد ارسلت الحكومة الفرنسوية عشرة ملايين فرنك الى مرسيلية لتسليمها الى معتمد محمد علي باشا . الّا ان هذا الاخير رفض قبول هذه المهمة.

حينئذٍ رغماً عن معاكسة المجلس النيابي والاحزاب المضادّة ، اخذ الملك ووزارته الجديدة باعداد معدّات الحملة. وقد اعلن الملك شارل العاشر سفراءه لدى الدول الاجنبية انه « يريد الاثار لشرف علمه ، والغاء القرصنة واستعباد الاسرى ، وانقاذ اوروبة من ذلّ الجزية التي تدفعها الى بلاد البربر ، وانه مصمّم على عدم طرح السلاح واسترجاع جنوده من الجزائر قبل ان يحصل على مقصده » — فقابلت روسية هذا المشروع بتمام الارتياح طالبة من فرنسة توطيد حالة مستقرة في افريقية تضمن دوام السلام. ووافقتها بروسية حباً منها بانشغال فرنسة في خارج اوربة . ولم تبدِ النمسة معارضةً . اماّ اللورد ستوارت سفير انكلترة ، فقد اخذ بمقابلة رئيس مجلس الوزراء البرنس دي بولينياك ، الذي

كان وزيرًا للخارجية ايضاً ، وغيره من الوزراء ملحاً عليهم بان حكومته لن تقبل بارسال حملة ضد الجزائر ، وتوصل الى مقابلة الملك واعادة تهديداته له والى وزير البحرية البارون دي هوسز . فما اسفرت مداخلاته الّا عن فشل، ثم فان الملك قال له : «فليتحاشَ الانكليز عن المداخلة بامورنا بقدر ما نمتنع نحن عن المداخلة بامورهم .» وبما انه كان قدّم للبرنس دي پولينياك مذكرة تهديدية قائلاً بانها وردت له من حكومته واخذ يلحّ بطلب الجواب ، قال له البرنس : «اكتب الى وزارتك انك قدّمت لي المذكرة وانني لم اقرأها .»

امّا البارون دي هوسز فقد اجابه : « قلت لك مرارًا يا حضرة السفير انني لا ارغب المحادثة معك بامور سياسية . واثباتاً لذلك فانني ساستعمل معك عبارات غير دبلوماتيكية فاقول لك : « *Je m'en f.. de l'Angleterre !* »

وبعد ان اعطاه جميع التفصيلات عن عدد مراكب النقل والمراكب الحربية التي تخفرها ، وعدد رجال البحر ، ورجال الجيش البرّي ، وعدد المدافع ، واسماء القوّاد ، والقائد العام ، وتاريخ يوم اقلاع الاسطول ، والطريق التي يسلكها ، ومحل انزال الجيش ، ختم قائلاً : «يمكنك الآن ان تعطي هذه التفاصيل لحكومتك ولترسل اذا شاءت اسطولاً يمنعنا .»

ولمّا انتشر خبر تجهيز الحملة جاء كثيرون من امراء اوربة ورجالها فتطوّعوا في الجيش الفرنسوي مثل البرنس دي شوارزنبرغ النمسوي ، والبرنس دي كارينيان الايطالي ، وغيرهما . وطلب كثير من الضباط السماح لهم بالسفر مع الجيش بصفة جنود بسيطين او برتبة اصغر من رتبهم .

واخيرًا في ١٦ ايار ١٨٣٠ ، ابحر الجيش من مياه طولون .

كان الاسطول مؤلفاً من مائة مركب حربي عليها ٢٨ الف بحري بامرة الڤيس اميرال دي بيّدي (وقد كان يقول بعدم امكان نجاح الحملة) وبرفقة ثلاثمائة وسبعة وخمسين مركباً (منها سبع بواخر فقط) تحمل ٣٧,٢٠٠ جندياً وضابطاً وقائدًا ، و ١١٢ مدفعاً مقسومين الى ثلاث فرق تحت قيادة الجنرالية لوڤردو وبيرتيزين ودي كارس ، بأمرة القائد العام الجنرال دي بورمون الذي كان هو ذاته وزيرًا للحربية . وقد ركب المركب لاپروڤنس ، ورفع عليه

علم القيادة العامة . وبالنظر لمعاكسة الارياح ، لم يتمكن الاسطول من الاقلاع الّا في ٢٥ ايار ١٨٣٠ . وبعد وصول الاسطول امام شواطي بلاد الجزائر ، وتردّد رجال البحرية بسبب حالة الجوّ ، صار اخيرًا انزال الجيش قرب محلة سيدي فروش في ١٣ حزيران ١٨٣٠ . وفي ١٩ منه جرت المعركة الاولى بين الفاتحين وبين جيش الجزائر ، وعدده ٢٨ الفًا بقيادة ابرهيم اغا صهر الداي ، فاستولى الفرنسيون على معسكرهم في ستاويلي . ثم انتصروا ثانية في ٢٤ منه في معركة سيدي خالف . الّا ان الضابط اميدي دي بورمون احد انجال القائد العام ، قُتـل فيها . وبدأ حصار مدينة الجه في ٣٠ حزيران ١٨٣٠ . وكان الداي عزل صهره ، واسند قيادة الجيش والحامية الى احد رجاله المدعو « ابو مزراق » . وفي ٤ تموز صمتت مدافع الجه وارسل الداي يطلب التسليم بواسطة كاتبه مصطفى اغا ، وحضر معه قنصل انكلترة بصفة خصوصية . فعرض على الجنرال دي بورمون اعطاءه مصاريف الحملة والاعتذار عمّا بدا سابقًا بشرط الّا يدخل احد المدينة . فاجابه القائد . على الداي ان يسلّم المدينة ، وان تخضع هذه مع كافة الجنود لحكومة فرنسة ، وانه يتعهد للسكان بحرية المذهب واحترام شعائرهم الدينية ، وتخويلهم الحرية والامان لهم ولعرضهم واملاكهم . واذا لم يوقّع الداي شروط التسليم قبل نصف الليل ، فهو يهدم المدينة .

فتقدمت صورة المعاهدة الى الداي ، فوقّعها يوم الاحد الواقع في ٤ تموز ليلًا . ونهار الاثنين في ٥ تموز سنة ١٨٣٠ ، دخلت الجيوش الافرنسية بصورة رسمية بقيادة الجنرال دي بورمون مدينة الجه التي طالما رأت صفوف الاسرى من افرنسيين واسبانيين وايطاليين وخلافهم داخلين مقيّدين بالاغلال والحديد وسط الجموع المحتشدة لتسخر منهم وتمثّل بهم . فاستولوا على القلاع والحصون وجميع المحلّات الرسمية ، واستلموا الخزانة فوجدوا فيها ٤٩ مليونـًا من الفرنكات ورُفعت الاعلام الفرنسوية البيضاء المزدانة بالزنبق (علم فرنسة في عهد البوربون) على المدينة والاسوار . ثم سُمح للداي بالمجيء لمقابلة الجنرال ، فأتى ومكث عنده ساعة من الزمان ومما قاله له : « كنت بهذا القدر واثقًا من هلاك من ينزل منكم الى البرّ حتى انني كنت مستعدًا لتسهيل نزول

الجيش. لكنّ الله شاء عكس ذلك ، فلكم النصر ! » وقد استأذن بالذهاب مع اسرته وذويه الى ليڤورنو في ايطالية ، فاحضر له الجنرال مركباً مخصوصاً. وعند ساعة السفر غيّر فكره ، وبناء على طلبه ، توجّه به المركب الى مدينة نابولي ، وهو يردّد الشكر لحسن معاملة المنتصر له . اما الملك والحكومة في باريس فلم يبلغهما الخبر الّا نهار الجمعة في ٩ تموز ، فقد أرسل القائد العام التقارير الرسمية وبشرى خبر النصر مع المركب سفينكس الذي اقلع من مرسى الجه في ٦ تموز فوصل مرسيلية حيث طيّر الخبر مع التلغراف الهوائي الى باريس. فوصل الخبر للملك شارل العاشر والبرنس دي پولينياك الجمعة في ٩ تموز عند الظهر ، فزيّنت دور الحكومة . ويوم الاحد في ١١ تموز عند الساعة الرابعة بعد الظهر ، أقيمت صلاة الشكر في كنيسة السيدة الكاتدرائية بحضور الملك. وقد انعم الملك على الجنرال دي بورمون بمقام المارشالية.

وانقذ دخول بورمون الى الجه اكثر من الف اسير كانت حكومة الجزائر تستعبدهم في الاشغال الشاقة تحت الارض ، وتحت الاسوار في خنادق باب الواد ، فعادوا الى الحياة والى الحرّية . فيجدر بدول وشعوب اوربة كافةً ان يتخذوا يوم ٥ تموز ، اي يوم دخول الجيش الفرنسوي لمدينة الجه ، عيداً رسمياً شاملاً يشتركون فيه معها بالافراح. لان فرنسة بانتصارها هذا المبين قد انقذتهم من الجزية التي كانوا يدفعونها للجزائر ، وقد انقذت رعاياهم من ذلّ الاسر والعبودية وامنت حرية البحار . هذا هو الفتح العظيم الذي يمرّ عليه في ٤ تموز الحالي مائة سنة كاملة . وقد ذهب رئيس الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي الى الجزائر حيث افتتح احتفالات الاعياد القرنية لهذا التذكار العظيم. - -

قضى الفرنسيون سنين طويلة حتى تمكنوا من اخضاع قبائل وشعوب هذه البلاد الشاسعة المعروفة الآن بمستعمرة الجزائر . وليس هنا المحل اللازم للتكلم عن ثورة ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ تموز ١٨٣٠ التي ذهبت بعرش شارل العاشر ، وارسلت الفرع الاول الشرعي من سلالة البوربون الى المنفى . ولم يلبث المارشال دي بورمون ان سلك طريق المنفى باثر سيده ، لكونه رفض يمين الطاعة للعلم المثلّث الالوان وللملك لويس فيليب . فغادر الجزائر في ٢٠ آب

١٨٣٠ ، وكان وصل خلفه الجنرال كلوزيل منذ ١٧ آب. وقد تعاقب حكام الجه حتى سنة ١٨٣٤ حيث عيّن القائد العام بلقب « الحاكم العام لمتلكات فرنسة في افريقية الشمالية» . وفي سنة ١٨٤٠ سمّي بلقب حاكم الجزائر العام وكان اكبر مناوئي الفرنسويين الرئيس الاعلى للقبائل الوطنية حتى نهاية سنة ١٨٤٧ ، الامير عبد القادر الحسني ، من ولاية وهران ، فقد رأس قوّات المدافعين عن استقلال الجزائر مدة ١٤ سنة ، واضطرّ في اواخر كانون الاول ١٨٤٧ الى التسليم بين يدي الجنرال دي لاموريسير.

وفي نهاية سنة ١٨٧٠ تمّت اعمال الفتح تقريباً ، فاستبدلت الحكومة الفرنسوية نوع حكومة الجزائر ، وسلّمت السلطة فيها الى حكام ملكيين ، واصبح قائد الفيلق التاسع عشر المقيم في اراضي الجزائر منحصرة مهمّته في ادارة الجنود فقط كما في فرنسة ، وصارت رئاسة المستعمرة الى حاكم مدني باسم حاكم عام ، يتبعه حكام ولايات يدعى كل واحد منهم باسم بريفي (préfet) كما في فرنسة.

وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر توغّلت الجنود الفرنسية في داخلية البلاد واجتازت اراضي الصحراء ، وربطت النوطات التي في اقصى البلاد ، في وسط القفار ، بعضها الى بعض بطرقات بديعة شيّدها الجيش ، فاكملوا بذلك حدود الجزائر كلّها ، وذلك بضمّ القفار المعروفة باسم المزاب (M'zab) . ووضعوا الحاميات في اطرافها بطريقة تضمن امكان اسعافها حين الحاجة ، فتمّ تطويق اراضي المستعمرة من جهة الصحراء..

وانه يضيق نطاق هذه المقالة عن تلخيص اعمال فرنسة في مدة هذا القرن في الجزائر ، فقد كانت تجارتها في ١٨٣٠ لا تكاد تبلغ بضعة ملايين من الفرنكات ؛ اما الآن فهي تبلغ عشرة مليارات. كانت عديمة الطرقات لا يوجد فيها سوى منافذ ومسالك وعرة صعبة ، اما الآن ففيها خمسة آلاف كيلومتر من الطرقات الحديدية ، وخمسة آلاف كيلومتر من الطرقات العمومية الواسعة الحسنة الجيدة.

كانت الجزائر لا تكفي ذاتها في سنة ١٨٣٠ بالحبوب ، اما الآن فانها

تصدر من الحبوب ما قيمته ثلاثمائة مليون فرنك . لم يكن فيها ما تصدره من النبيذ ، اما الآن فان قيمة ما تصدره من الخمر يبلغ مليارًا ونصف مليار من الفرنكات . كان عدد سكان الجزائر يبلغ مليون نفس تقريباً . ففي سنة ١٨٧٠ بلغ عدد الوطنيين والاجانب مليونين وثلاثمائة وخمسين الفاً . اما في سنة ١٩٢٧ فقد بلغ الاحصاء الرسمي ستة ملايين وخمسة وستين الفاً ، منهم نحو تسعمائة الف فرنسوي واوربي.

في سنة ١٨٣٠ كان يتردد لمياه الجزائر بضع مئات من المراكب التجارية ، وهي جازعة خائفة من سوء المصير نظرًا لاستبداد الحكومة . اما الآن فان حركة الاساكل عظيمة جدًا فيغشاها عشرة آلاف من البواخر والمراكب الشراعية محمولها عشرة ملايين واكثر من الاطنان.

كانت الجزائر تجهل في سنة ١٨٣٠ اعمال البريد والتلغراف ، اما الآن فان فيها ٧٠٠ مركز للبريد ، و ٨٠٠ مركز للبرق ، ومحطتين للتلغراف اللاسلكي ، و ١٦ الفاً من طرقات البرق لها ٥٠ الفاً من الخطوط التلغرافية ، عدا خطوط التلفون في داخل الجه وغيرها من المدن الكبيرة.

وبالاختصار فان الجه اصبحت الاسكلة التجارية الثالثة بين اساكل فرنسة ، والثالثة ايضاً بين اساكل البحر المتوسط.

وفي سنة ١٩٢٣ تم اجتياز الصحراء في السيارة من الجزائر الى اراضي المستعمرة الفرنسوية في غربي افريقية لاول مرة . وفي النية انشاء خط دائم لاتصال ممتلكات فرنسة الافريقية مع الجزائر.

وقبل ان نختم مقالتنا هذه عن الجزائر نقول انه في ١٨٨١ تسنى لفرنسة ان عقدت معاهدة مع باي تونس ، فدخلت هذه الدولة تحت حمايتها . ومن سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٨ ادخلت سلطنة مراكش (ما خلا منطقة صغيرة دخلت في نفوذ اسبانية) تحت حمايتها . وهكذا اضحى القسم الغربي من شواطي افريقية الشمالية باسره تحت العلم الفرنسوي اي ما يبلغ طوله اكثر من الفي كيلومتر من الشواطي.

تبلغ مساحة الجزائر الآن ٦٧٠ الف كيلومتر مربع منها ٢١٠ آلاف

كيلومتر مربَع تحت الاحكام الملكية مثل سائر ولايات فرنسة بالــذات ، وتبلغ مساحة القسم الممكن الانتفاع منه من اراضي الجزائر نحواً من اربعمائة الف كيلومتر مربَع.

واما تقدم الدين المسيحي وانتشار التعلم والتمدن في تلك الاصقاع التي كان يخيم عليها الجهل قبل ١٨٣٠ فحــدث عنه ولا حرج ، انشئت المدارس للذكور والاناث في اكثر المــدن والقصبات ، وأُعيدت التقسيمات الكنائسية فأنشيء في الجزائر رئاسة اسقفية في الجـه واسقفيات في وهران وقسنطينة . وتشيدت اديرة الرهبان في انحاء عديدة . وكان للكردينال لافيجري ورهبانه الآباء البيض ، فضلاً عن الترابيست واليسوعيين ، القسم الاكبر من هذه الاعمال الخيرية والتهذيبية . وبالاختصار فان مستقبل الجزائر ، وكذلك القول عن تونس ومراكش ، تحت الادارة الفرنسوية ، يبشر بنجاح باهر . فسيعود مجد هذه البلدان التي كانت زاهرة قبل القرن السابع للمسيح . ولا شك ان المسيحية ستعود الى سابق عزها وازدهارها هناك . وقد حصلت معاً احتفالات تذكار وفــاة القديس اغوسطينوس ، واحتفالات العيد القرني لفتح الجزائر ، مع انعقاد المؤتمر القرباني في مدينة قرطجنة وحضور كردينال فرنسوي ليترأسها من قبل قداسة البابا . ويجدر بنا ان نختم هذه المقالة بالعبارة التي كتبها النائب البلجيكي المسيو ماينهوت على اثر سياحته في الجزائر : « متى عدنا لبلادنا سنقول لمن يريــد ان يصغي الينا انه يجب ان نذهب الى الجزائر لنجد احسن مثال للتمدن.»

وقد برهن الجزائريون عن معرفتهم الجميل ومزيد تعلقهم بفرنسة بهرق دماهم دفاعاً عنها في الحرب العالمية ، فضلاً عما اجراه الامير عبد القادر في دمشق سنة ١٨٦٠ ؛ فكل هذا يثبت ان فرنسة لا تزال ام المدنية والانسانية ، وانه يحق للمؤرخ ان ينعت اعمالها في العالم خدمة للدين والتمدن ، كما قال مؤرخ الاجيال الوسطى في كلامه عن حروب الصليبيين : « اعمال الله على يد الافرنج »

Gesta Dei per Francos

بلاد البلجيك في مئة سنة

١٨٣٠–١٩٣٠

بقلم الاب لامنس اليسوعي

تحتفل بلجيكة ، هذه السنة ، بالتذكار المئوي الاول لاستقلالها . وما فتئت تلك المملكة الصغيرة تسير بشعبها الحيّ في طرق التقدم والرقي ، منذ ذاك العهد الى يومنا هذا . ومن عوامل التقدم المهمّة ، يلزمنا ان نذكر اولاً الملوك الحازمين الذين منّت بهم العناية على تلك البلاد ، فساسوها بما اوتوه من بُعد نظر ، وحسن إقدام ، وقوة عزمة تذلل المصاعب ، حتى اوصلوها الى مكانها العالي . وهم ليوپولد الاول (١٨٣٠– ١٨٦٥) وليوپولد الثاني (١٨٦٥–١٩٠٩) والبر الاول ، الملك الحالي ، الذي وُلد في ٨ نيسان ١٨٧٥ ، وتزوّج سنة ١٩٠٠ الاميرة اليصابات التي عُرفت في ما بعد باسم « ملكة الرحمة » . وقد كان للحرب الكونية ان تلفت الى الملك البر انظار العالم المتمدّن ، فأُعجبت به الشعوب ، واجمعت على تسميته « بالملك الفارس » ، اذ عرفت ذاك الجواب المملوء فخرًا وحماسةً الذي اجاب به العدوّ ، في اوائل الحرب ، وقد طلب منه ان يمالئه على غاياته فيحطّ من قدر بلجيكة وشرف مليكها . ولا يزال الملك البر يتابع في ايام السلم ما كان يبذله في زمن الحرب من اهتمامه العجيب ، ومساعيه الدائبة ، وعنايته الابوية في راحة ابناء رعيته على اختلاف طبقاتهم .

كان سكان بلجيكة ، سنة ١٨٣٠ ، لا يتجاوزون الاربعة الملايين . اما اليوم فقد تضاعف عددهم . وليس من بلد في الكون يفوق هذه الدولة كثافةً في السكان ، اي من جهة عددهم بالنسبة الى المساحة . اما المرافق الاقتصادية من زراعة وصناعة فهي في بلجيكة على غاية ما يمكن من الازدهار . فتقدّر رؤوس الاموال الزراعية بخمسين مليارًا . ويبلغ دخل صناعات الحليب وحدها ٣٧٥ مليوناً من الفرنكات ، ومحصول تربية الطيور

١٤٤ مليوناً . وقد بلغ فيها عدد الابقار المختلفة الاصناف ١,٨٠٠,٠٠٠ رأس . وفي ١٩١٠ ، اصدرت ٣٥,٠٠٠ رأساً من الخيل . اما مركزها الصناعي فمعروف لا نفيض بذكره ، بل يكفي القول انها كانت تحتل قبل الحرب الدرجة الخامسة بين الدول الصناعية ، وكانت ارقام تجارتها الصناعية تفوق ارقام تجارة ايطالية والنمسة . ومن المفيد ان نذكر ان ربع محصولات العالم من الصناعات الزجاجية يخرج من معامل بلجيكة . كما ان الحديد والفولاذ البلجيكين يحتلان الاسواق الاجنبية . فهي تتفوق في صنع الثقيل المتين كما تتفوق في صنع الخفيف القيم . تجمع الى ذلك اوسع شبكة في العالم من الخطوط الحديدية بالنسبة الى مساحتها ، مما يسهل لها طرق المواصلات البرية ، كما تسهل لها ميناء انفرس طرق المواصلات البحرية ، وقد كانت حركة تلك الميناء لا تتجاوز ٥٠٠,٠٠٠ طن سنة ١٨٦٠ ، فبلغت ، سنة ١٩٢٣ ، نحو ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ طن .

هذا وينبغي لمن يتكلم عن بلجيكة ألّا ينى الكونغو البلجيكي . فلما اخذت باستعمار تلك البلاد سنة ١٨٨٥ ، كان عليها ان تذلل صعوبات عديدة من جهة توحش تلك الشعوب التي كان بعضها لا يزالون على اكل لحوم البشر ؛ ومن جهة هجمات لصوص العرب وقرصانهم من طلّاب الرقيق المذكر والمؤنث ، فضلًا عن الامراض المتعددة ، ولاسيما مرض النوم الذي لا يزال يفتك بالكثيرين حتى ايامنا . وكان في مقدمة المستعمرين الف ومائتا مُرسل من رهبان وراهبات ، اخذوا على عاتقهم تبشير اولئك الزنوج المساكين . فاقاموا يهذبونهم ويعلمونهم طرق الزراعة والصناعات اليدوية . ولم تلبث ان تكللت اعمالهم بالنجاح ، واذا في الكونغو اليوم اكثر من نصف مليون من المسيحيين الوطنيين ، واذا بتلك البلاد تصدر المعادن الثمينة كالذهب والالماس ، فتحتل بلجيكة باصدارها هذا المعدن الاخير الدرجة الثالثة بين دول العالم . اما من حيث اصدار الراديوم فتحتل بلجيكة المرتبة الاولى في الكون ، لان نصف محصول العالم من الراديوم متخذ من المعادن النادرة المستخرجة من الكونغو .

عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة

٥٢٥؟ – ٦١٥؟

بقلم فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

لا نعرف بين وجوه مَن اكتنفتهم هالات الفخر ، واحاطت بهم إطارات العزّ من ابطال الجاهلية ، وجهاً انبل مظهراً ، واشدّ جاذبيـة لعقول القوم ، فادعى الى اثارة اعجابهم ، واوفر حظّاً باجلالهم ، من ذاك الوجه الاسود اللون ، الصلب العود ، الضخم القسمات ، الغليظ المشفرَين ، الجامع بين عبوسة البطل العنيد ، ولطف الفارس الحليم . حتى اصبح من الصعب على مؤرخ الادب ، اذا تكلّم عن « عنترة التاريخ » ، ان يتخلّص من تلك الخيوط الدقيقة والمتينة التي تحوكها روايات القصّاصين ومعتقدات العامّة حول شاعره ، فتحوّله الى « عنترة الاسطورة » . ولهذا رأينا ان نجتهد ، قبل ان نبدأ درس شاعرنا ، في تحديد كلّ من هذين المظهرين المختلفين ، وفصلهما احدهما عن الآخر ، سواء في حياة الشاعر او في ما نُسب اليه من الشعر .

حياته

عصره

من الشائع في تواريخ الادب ان عنترة توفي سنة ٦١٥[١] ، اي قبل الهجرة بسبع سنوات ، وكان قد أسنّ فتجاوز الثمانين ، على رأي البعض ، وبلغ التسعين

١) اطلب de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes*, t. II, p. 519 – والاب شيخو : شعراء النصرانية ، ص ٧٩٦ . اما من تبعهما من مؤرخي الادب ، فقد اخذوا جميعهم عن الاب شيخو .

على رأي غيرهم ، مما جعل ميلاده حول السنة ٥٢٥ .

اما كون عنترة ادرك من العمر مبلغاً قصياً فهو ما يمكن الاطمئنان اليه بالاستناد الى جميع الروايات[1] ؛ والى ما لا يكاد يُشكّ في نسبته من شعر عنترة نفسه ، كقوله :

اذا اوهى مراسُ الحرب ركني   ولكن ما تقادم من زماني (٢ ؛

والى ما استنتجه المستشرق پيرون في بحثه عن مقابلة الاجيال[3] ، من ان عنترة كان ، من سلسلة نسبه ، في درجة توازي درجة عبدالله ، والد محمد ، فلزم اذاً ان يكون من مواليد الثلث الاول من القرن السادس. فاذا اضفنا الى هذا ما نعرفه من ان عنترة اشترك في حرب داحس والغبراء التي انتهت بين السنتين ٦٠٨ و ٦١٠[4] ، وانه غزا غزوة كان فيها الحطيئة الذي ادرك الاسلام وروى لعمر بن الخطّاب شيئاً عن تلك الغزوة[5] ، وانه كان من اقران عمرو بن معدي كرب[6] الذي ادرك الاسلام ايضاً ؛ كانت النتيجة ان شاعرنا من المعمّرين حقاً.

واما وفاته فقد يمكننا حصر زمنها بواسطة ما لدينا من المعلومات ، وان قليلة . نحن نعرف ان عنترة شهد حرب السباق المذكورة وابلى فيها. ثم نعرف ، باجماع الرواة ، انه توفي او قُتل بعد ان كبر وعجز ؛ فمن المعقول اذاً ان يكون عاش بضع سنوات بعد تلك الحرب. واذاً فلا يمكننا الأخذ بقول حاجي خلفا ، اذ يجعل وفاة عنترة « سنةً قبل الاسلام »[7] ، اي نحو السنة ٦١١ . بل يلزم الانحدار بها الى ما بعد ذلك ، الى السنة ٦١٥ التي اشرنا اليها ، ان لم يكن الى ما بعدها ايضاً.

١) الاغاني ٧ : ١٥٢

٢) المبرّد : الكامل ، طبعة Wright ، ص ١٢٥ . وديوان عنترة ، طبعة ابن لورد ، وهي التي نشير اليها دائماً ، ص ٥١ .

٣) A. Perron : *Lettre sur Antar*, *J. As.* décembre 1840, p. 501-503

٤) راجع الروائع ٢٠ : ب

٥) الاغاني ٧ : ١٥٢ .

٦) الاغاني ٧ : ١٥٢ .

٧) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، طبعة Flügel ، ٣ : ٢٩٨ العدد ٥٨٨٦ .

منشأه

اسمه – أمّه – لقبه

يختلف الرواة والمؤرخون بعضَ الاختلاف في سرد آباء عنترة، فمنهم من يجعل جدّه شدّادًا، واباه معاوية كابن السكّيت[١]، ومنهم من يجعل اباه عمرًا مع الاحتفاظ بشدّاد جدًا له كابن الكلبي[٢]، وابي زيد القرشي[٣]. ولكن اكثرهم[٤] على انه عنترة بن شدّاد، بن عمرو، او معاوية، بن قراد، احد بني مخزوم من قبيلة عبس، من مُضر. وقد رُوي له، في ديوانه، بيت شعر يذكر فيه اباه شدّادًا وهو

منهم ابي شدّادُ اكرم والدٍ والامُّ من حامٍ، فهم اخوالي [٥].

على اننا نظنّ ان في صدره تحريفاً مستحدث العهد. اما اصله فهو، كما اورده ابن قُتيبة:

منهم ابي حقًّا، فهم لي والدٌ، والامُّ من حامٍ، فهم اخوالي [٦].

اما امّ عنترة فكانت أمةً حبشية الاصل، وهو معنى قوله: «والامُّ من حامٍ»، اسمها زبيبة، سباها ابوه في احدى الغارات، فاستولدها عنترة، فاتى حبشيَّ اللون، مشقوق الشفة السفلى، فكان يُقال له «عنترة الفلحاء» بصيغة المؤنث حملًا على تأنيث اسمه، او على قصد «الشفة الفلحاء» اي المشقوقة. على انّ بروكلمان[٧] يشكّ في صحة هذا اللقب، لانه يعدّه مدعاة لاحتقار لم يكن عنترة ليرضاه، وهو الذي وصف، بشيء من العبث، رجلًا اعلم، اي مشقوق الشفة العليا، في معلقته[٨]. ولكن هذا لا يمنع كون الرواة مجمعين تقريباً على

١) التبريزي: شرح المعلّقات، ص ٩٠

٢) ابن قُتيبة: الشعر والشعراء، ص ١٣٠ – والبغدادي: خزانة الادب ١: ٦٢

٣) القرشي: جمهرة اشعار العرب، ص ١٨٨.

٤) اطلب الاغاني ٧: ١٤٧ – والتبريزي: شرح المعلقات، ص ٩٠ – والجمحي: طبقات الشعراء، ص ٣٥.

٥) اديب مصري: شرح ديوان عنتر بن شدّاد، ص ١٦٤.

٦) ابن قُتيبة: الشعر والشعراء، ص ١٢٤. وهكذا ورد البيت في شعراء النصرانية، ص ٨٥٢.

٧) Brockelmann, *Antar(a)* - *Encycl. de l'Islam*, *I*, 366 ٨) المعلّقة: ٤٢

الاشارة الى هذا اللقب ؛ وسواء دُعي به عنترة في حياته او لم يُدعَ ، فاننا نراه متناقلًا على الألسن . قال شُريح بن بجير التغلبي :

وعنترة الفلحاء جاء مُلأَّماً كأنك فِند من عَماية اسودُ [1]

وكان يكنّى عنترة « بابي المغلّس » ومعناه السائر في الظلام ، اشارةً الى سواد لونه . وعُدَّ ايضاً من « اغربة العرب »[2] للسبب نفسه . اما لفظة « عنترة » فمعناها واحدة العَنْتَر ، وهو الذباب الأزرق . وقد سمي بها ثلاثة من الشعراء اشهرهم صاحبنا . ثم عنترة بن الاخرس او ابن عكبرة الطائي ، وعنترة بن عروس ، مولى ثقيف . وورد ذكر هذين الاخيرين في حماسة ابي تمام[3] . وذكر الاول منهما في معجم ياقوت.[4]

ادعاء ابيه اياه – تأثير سواده

نشأ عنترة عبداً يرعى ابل ابيه وهو لا يكاد يؤبه له ، لما كان من عادة العرب في استعباد اولاد الإماء ، حتى اذا انجبوا ، ادّعاهم آباؤهم ، فالحقوهم بنسب القوم. وهذا ما حصل لعنترة في حديث طويل رواه ابن الكلبي ، وملخّصه ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فاستاقوا من ابلهم. فتبعهم العبسيون ليستنقذوا اموالهم . فقال شدّاد لابنه : « كرَّ يا عنترة ! » فقال : « العبد لا يُحسن الكرَّ انما يحسن الحلاب والصرّ. » فقال : « كرّ ، وانت حرّ. » فكرّ وقاتل قتالًا حسناً. فادعاه ابوه ، والحقه بنسبه[5] .

وان جواب عنترة لأبيه يدلّ على طموح في نفسه الى الحريّة ، وألمٍ فيها ناتج عن رفضٍ سابق بالاعتراف به . مما يرجّح الحادثة الاخرى الواردة في الاغاني[6] ، والتي نظنها وقعت قبل هذه المركة. وخلاصتها ان عنترة كان قد اغار مرّةً مع العبسيين على بني طيء ، فاصابوا نعماً . فلما ارادوا القسمة ،

١) المفضل الضبي : المفضليات ، طبعة Lyall ، ص ٧٨٧ – ونقائض جرير والفرزدق ، طبعة Bevan ، ص ١٠٨ ، وقد ذكر فيها « الثلبي » ، والصواب « التغلبي » .

٢) هم ثلاثة من فتّاك العرب وفرسانهم سمّوا « اغربة » ، ج. غراب ، لسواد لونهم وهم : عنترة ، وخُفاف بن ندبة ، والسليك بن السُلكة.

٣) حماسة ابي تمام ، طبعة Freytag ، ص ٢٠٦ .

٤) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة Wustenfeld ، ٣ : ٩١٢.

٥) الاغاني ٧ : ١٤٩ ٦) الاغاني ٧ : ١٤٩ و ١٥٠

قالوا لعنترة : «لا نقسم لك نصيباً مثل انصبائنا لأنك عبـد.» فغضب عنترة واعتزلهم ، حتى مسّت الحاجة اليه فادّعاه ابوه.

وكان لزبيبة اولاد عبيد من غير شدّاد ، اسم احدهم حنبل ، فعمل عنترة على الحاقهم بقومه ، بعد ادّعاء ابيه اياه ، كما روى الاصبهاني[1].

على انه ظلّ عرضةً لتهكم الكثيرين من ابناء قبيلته ، ولاحتقار الوجوه فيها ، ولحسد ابطالها وشعرائها ، بسبب سواد جلده ، وعدم خلوص نسبه . فكانوا ، على حاجتهم اليه ، لا يدعون فرصة تمرّ الا اقترصوها لتحقيره والحطّ من شأنه . من ذلك ما قاله قيس بن زهير بعد ان هرب العبسيّون امام بني تميم ، وهو سيّدهم ، فدافع عنترة عن قومه دفاعاً مجيداً ، فما كان من قيس الّا ان قال : «والله ما حمى الناس الّا ابن السوداء !»

والى هذه الاشارات والتلميحات المؤلمة ، التي تعدّدت كثيراً في حياته حتى استغلّها واضع «سيرته» استغلالاً عجيباً ، اشار عنترة في عدة ابيات من شعره ، منها قوله :

اني امرؤٌ من خير عبس منصباً شطري ؛ واحمي سائري بالمنصُلِ ،
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت ، أُلفيت خيراً من مُعَمٍّ مخوَلِ

مآتيه

تكاد تنحصر مآتي عنترة في الغزوات المطّردة التي كان يقوم بها على جيرانه من طيء وغطفان وحنيفة ومن اليهم ، وفي مواقف الدفاع الكثيرة التي كان يقفها لدى هجمات الاعداء . لأن غزوات العبسيين المتعدّدة كانت تتطلب ثارات متعدّدة ايضاً ، ولم تكن القبائل المعادية لتتخلّف عن القيام بها . ولعلّ اشهر هـذه المناوشات كانت حرب السباق ، او حرب داحس والغبراء التي ذكرناها بالتفصيل عند كلامنا عن زهير بن ابي سُلمى[2] . وهكذا فقد قضى شاعرنا حياته ، شاكي السلاح ، على ظهر جواده ، مستعداً للطوارئ.

واذا اضفنا الى هذه الحالة المجلبة للفخر والحماسة ، حبّه لابنة عمه عبلة حباً سار مسير المثل ، على ما بينهما من اختلاف اللون والمنشأ ، كدنا نذكر اهم

١) الاغاني ٧ : ١٥١
٢) الروائع ٢٥ : ي و يا

مستيات شعوره ومستدعيات صور خياله. فان اكثر ما قال عنترة من الشعر، وما نُسب اليه، ان لم نقل كله، يدور حول معاركه وبطشه فيها، وحبه لعبلة واجتهاده في لفت نظرها الى مآتيه العالية وصفاته السامية التي تبرّر في نظره سواد لونه، وشوائب نسبه، كما سنرى.

موته

ذكرنا، في اول هذا الدرس، اجماع الرواة على كون عنترة من المعمّرين، ثم استنتجنا انه توفي حول السنة ٦١٥، ان لم يكن بعدها قليلًا. اما كيفية موته فاختُلف فيها. واشهر الروايات في ذلك ثلاث، الاولى منها عن ابن الاعرابي والمفضّل، وابن حبيب، وابن الكلبي، بطريق ابي سعيد السكري؛ والثانية عن ابي عمرو الشيباني. وكلتاهما تُفيد ان عنترة مات قتيلاً. والثالثة عن ابي عبيدة. وجميع هؤلاء الرواة من مشهوري المطلعين على تاريخ العرب، فرأينا ذكر اقوالهم ملخصة كما رواها الاصبهاني[1] وتناقلها عنه الادباء.

الرواية الاولى

اغار عنترة على بني نبهان من طيء. فاطرد لهم طريدة، وهو شيخ فجعل يرتجز، وهو يطردها، ويقول:

آثار ظلمانٍ بقاعٍ مُحرَبِ

وكان وزر بن جابر النبهاني، الملقب «بالاسد الرهيص» على قول ابن الكلبي، في مضيق يرصده، فرماه، وقال: «خذها، وانا ابن سلمى!» فقطع مطاه. فتحامل عنترة بالرمية حتى اتى اهله، فقال، وهو مجروح:

وان ابن سلمى عنده، فاعلموا، دمي وهيهات! لا يرجى ابن سلمى، ولا دمي!
اذا ما تمشى بين اجبال طيّء مكانَ الثريا، ليس بالمتهضّم؛
رماني ولم يدهش بأزرق لهذمٍ، عشيّةَ حلّوا بين نعفٍ ومخرمِ

ولقد صحّ قول عنترة، فلم يأخذ قومه بثأره. وعاش قاتله، وزر بن جابر، الى ما بعد الهجرة، فكان احد الموفدين من قبل الطائيين الى محمد حوالي السنة ٦٢٩[2].

---

١) الاغاني ٧ : ١٥٢

٢) النويري : غاية الارب – ذكرها Perceval, *op. cit.* t. II; p. 520

الرواية الثانية

ذكرها ابو عمرو الشيباني ، وملخصها ان عنترة غزا بني طيء مع قومه . فانهزمت عبس . فخرّ عن فرسه ، ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب . فدخل دغلاً . وابصره ربيئة طيء ، فنزل اليه . وهاب ان يأخذه اسيرًا ، فرماه ، فقتله.

الرواية الثالثة

عن ابي عبيدة ، مفادها ان عنترة كان قد أسنّ ، واحتاج ، وعجز لكبر سنه عن الغارات . وكان له على رجل من غطفان بكر من الجمال . فخرج يتقاضاه اياه . فهاجت عليه ريح ، وهو بين ماءين لعبس اسمهما شرج وناظرة ، فأصابته ، فمات في الطريق . ونقل عن ابي عبيدة ايضاً « ان طيئاً تدعي قتل عنترة ، ويزعمون ان الذي قتله الاسد الرهيص ، وهو القائل :

انا الاسد الرهيص قتلتُ عمرًا وعنترة الفوارس قد قتلتُ ! » (١

وعندنا ان البيت مصنوع ، صُنع ليدعم الرواية الاولى التي مال اليها اكثر الادباء ، لاسيما بعد ان وُضعت « سيرة عنتر » واختار واضعها الاسد الرهيص قاتلاً لبطل قصته ، بعد ان غيّر في الحادثة وبدّل.

ومهما يكن من الأمر ، فان المستخلص من الروايات الثلاث اتفاقها على ان عنترة شاخ وضعف ، فكان عجزه سبباً مهماً في موته . وليست الرواية الثالثة التي تصوّر لنا ذاك البطل المقدام ، الذي طالما غزا وسلب فوهب واجزل ، يُصبح عاجزًا عن نيل ما يقيم معاشه ، فقيرًا معدماً حتى انه يتذكر جملاً له على بعض الاعراب ، فيقوم ليطالب به ، فيقطع شقة بعيدة لا يقوى فيها على مقاومة العناصر ، فيموت في الطريق عجزًا وفقرًا وانقطاعاً عن القوم الذين طالما ساروا وراءه الى المعارك فربحوا الاسلاب بواسطته ، ليست هذه الرواية البسيطة باضعف تأثيرًا ، واقلّ شجىً ، من الاوليين ، في نهاية حياة ذاك البطل العظيم .

(له صلة)

---

١) البغدادي : خزانة الادب ١ : ٦٢

مجلة المجلات

مهاتما غاندي – العجل عند الدروز

مهاتما غاندي

عن المجلة العامة الافرنسية «La Revue Universelle»، ١ ايار، ١٩٣٠

«عينان هادئتان قاتمتان. انسان قصير القامة، ضعيف، ناحل الطلعة، حافي الرجلين، ذو اذنين كبيرتين منتصبتين، على رأسه قبعة بيضاء، وثوبه من القماش الابيض». تلك هي صورة مهاتما غاندي، كما رسمها رومان رولان

ان غاندي ينتمي بمولده الى الفئة الهندية المتوسطة المتعيشة من المتجر. اما منشأه فهو انكليزي، او يكاد. وقد يشكو لكونه لا يفهم اللغة السانسكرية الا بالجهد. قضى في لندن اياماً درس فيها الحقوق، وحرّر باللغة الانكليزية المقالات التي نشرها في جريدة «الهند الفتاة» عارضاً فيها مطالبه.

ان الحركة الهندية غربيَّة الاصل. وهذه حقيقة اشهر من نار على علم. وقد صدقت في غاندي كما صدقت في سونياتن وفي مصطفى كمال، فان افكارهم لم تختمر الا بما نالها من افكار الغرب. اما غاندي فقد تعلم على روسو وروسكين وتولستوي. وكان تأثيرهم فيه اشدّ من تأثير كتب الهند المقدسة!

تمخضت آسية، ردًّا لفعل اوربة فيها، وولدت فكرة! واذا بالفكرة... اوربية!

ختم غاندي دروس الحقوق وعاد الى الهند وتعاطى مهنة المحاماة. ولم يكشف على ما ايقن به من دعوته الخاصة الا بعد ان طرحته النوى مطارحها سنة ١٨٩٣ في افريقية الجنوبية، وهي مهجر الهنود المألوف، يؤمّها الوفهم من ذوي البؤس ويقيمون خاصة في اقليمها المعروف بالناتال.

فلما حلّها غاندي ورأى بام العين ١٥٠٫٠٠٠ من مواطنيه عمالًا على شواطي البحر واكثرهم في المناجم ، وهم تحت ثقل حكم اشبه بتحكم الاميركان في الجنس الاصفر في كاليفورنية ، تفتحت عيناه ، وتبصر في مشكل الجنسيات ، وعقد العزائم على صرف حياته في تنبيه عاطفة الحزم في الشعب ، وبعث وجدانه القومي الى الحياة . فمثّل في افريقية دورًا أهبه للدور الثاني الذي اخذ يمثله اليوم في بلاده امام العالم.

آلى على نفسه الملاينة والحلم في النضال . فلن يخوض معركة ولن يحمل سلاحًا ولكن يتذرع بالوسائل السلبية بلوغًا لمآربه وذلك بالاضراب عن العمل ، وبالحث على مهاجرة المدن . ودام جهاده السلمي عشرين سنة ، الى ان سلمت انكلترة بمطالبه فابدلت سنة ١٩١٤ بعض بنود النظام المجحفة بحقوق المهاجرين الهنود . ورجع غاندي الى بلاده فظهر فيها رشيدًا وقائدًا تجسمت فيه حقوق الامة ومطالبها :

وفي السنة ١٩١٤ نشبت نيران الحرب المسكونية ، فناصر غاندي انكلترة ودعا مواطنيه الى التجنّد ولم يشك بامكان التآلف بين استقلال الهند وكيانها ضمن الامبراطورية البريطانية . ولعله علل نفسه بان « تهب انكلترة الهند استقلالها عفوًا ووفاء بالمعروف » ولكن الانكليز ضيقوا على الهند في اواخر الحرب فخابت الآمال وهاجت الخواطر ، وساعد على توتر الاحوال استياء المسلمين من ازمة الخلافة فانضموا الى البراهمة وانفسح مجال العمل لغاندي.

واعلم ان الهند هي ارض الاديان منذ القدم . فتذرع غاندي بالعاطفة الدينية ، ودعا الناس الى اقامة يوم يصومون فيه اجمعين (٦ نيسان ١٩١٩) فحدث انفجار واضطراب قبض في اثنائه على غاندي ، واحتج الناس ، فاطلق سراحه .

وعُقد المؤتمر الهندي الاول (٣٠ حزيران ١٩٢٠) في الله اباد وقُرر مبدأ « التنحي » (*noncooperation*) وتصدى الشعب الهندي في ناتال لصوت المؤتمر وضخمه . فصودرت البضاعات والمدارس والادارات الانكليزية مصادرةً عامة مدهشة .

فاستنح غاندي الفرصة لزرع التعاليم التي استغل بذورها من مطالعاته روسكين وتولستوي ، وحث على مقاومة « الماشينيسم » (او عادة الافراط بالاستعاضة عن اليد العاملة بالماكنات والمغالاة بتقدير منزلة الاجهزة المادية) وعلى العودة الى الصناعة الهندية ، ولبس الغزل الهندي وحذا حذوه الهنود ونبذوا الانسجة الاوربية .

ورفع غاندي علَم الاصلاح وشان على الامة انقساماتها طبقات متنائية وظلمها لطبقة « الباريا » السفلى ودعا الهنود والمسلمين والباريا الى السلام والوئام ، وبلغ منه حسن ظنه بالمستقبل ان عرض عليهم اجمعين توفيقهم بالمذهب وتوحيدهم في الدين . واعلن ذاته تلميذاً للمسيح ولبوذا معاً .

وليس نفوذ غاندي في السياسة دونه في الحياة الاجتماعية وهو ثاقب الرأي محنك ، يخاطب الناس طبقاً لاحوالهم ولمقتضيات الظروف . وان يكن يدعو دوماً الى الملاينة والى السعي في خير الانسانية جمعاء فلن يحجم عن اهاجة عاطفة التحمس والوطنية الصميمة في من يراهم ميالين الى العنف والقتال من امثال شعب « السيخ » ذلك ما دعا بعض الناس الى الاعجاب « بنفسية غاندي الخصيبة » اما نحن فلا نرى من ثم داعياً للاطراء وندعو تلونه « استنناح الفرص في حينها » (*opportunisme*) .

وفي السنة ١٩٢٩ عقد مؤتمر نغبور وايد مبدأ غاندي بتقدم استعمال العنف والشدة . فاجابت الحكومة بالقوة والقمع . فدعا غاندي مواطنيه الى الخروج عن الطاعة المدنية . واعلن ان الشرائع الانكليزية لا قوامَ لها ان لم تلبِّ طلبات الهند . وقرر الاضراب عن دفع الضرائب .

فاكترثت انكلترة للحوادث . وفي تشرين الثاني ١٩٢١ حل الهند البرنس اوفولس . فانهارت الاحتجاجات واضطرمت الفتن ، وقامت الساعة .

ولعل غاندي اراد مراعاة حرمة وليّ العهد البريطاني ، او خاف على ذاته تبعة الحوادث ، فاوقف تيار المقاومة ، وسلك تلك الخطة ايضاً في السنة التالية عند مقتل رجال الدرك الانكليزي في شوري شورا ؛ لكن سياسته الحذرة سوء المغبات لم تحل بينه وبين السجن مرة اخرى . فحبس ومرض واقلق الرأي

العام فاقرج عنه وعومل انصاره بالتساهل فتراخى عن التقييد بالاضراب المدني وسامحهم في اشتراكهم باللجن التشريعية .

فنال ما نال من علوّ المكانة ونفوذ الكلمة ، ووقف بوجه الحكومة الانكليزية وقفة الزعيم المطاع الى ان تطوّرت الحركة الوطنية وتفرقت طرائق في مبدأ « الملاينة والحلم » فتنحى غاندي عن السياسة (١٩٢٦–١٩٢٩) ثم عادت الحوادث واخرجته عن عزلته الى ميدان جديد.

في تشرين الثاني ١٩٢٩ تعدى احدهم على نائب الملك .. فبادر غاندي وشنع الجرعة وفاز بجذب اصوات المؤتمر الوطني الى رأيه ، ببعض الاكثرية . ثم هاج الشعب وماج وتحدث عن الاستقلال وتحمس فاعلن العيد الوطني الرسمي (٢٦ كانون الثاني) رغماً عما كان المؤتمر قد قرره من عدم قطع العلاقات مع الامبراطورية البريطانية.

وفي ٢ اذار الماضي ارسل غاندي الى الحكومة اخطاراً بشقّ عصا الطاعة المدنية ان هي لم تلبِّ طلب الهند وتخولها حق حكم ذاتها بذاتها (Home Rule) وفي ١٢ آذار مشى غاندي واتباعه على بومباي ولم يلاقِ مانعاً بوجهه. فاضطربت البلاد وذكرت الصحافيين بايام الثورة الافرنسية اذ اتخذ الشعب من المكس على الملح داعياً للفتنة.

مشى غاندي واينما مشى اقدم متطوعوه على تهيئة الملح وبيعه . اما الحكومة فغضّت النظر وصبرت .

سارت حملة غاندي ولواء السلام معقود على رأسها ، لان زعيمها يأبى الا تحقيق الاماني بالملاينة والحلم والتأني. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

انفجرت قنابل في مصافّ الناس ولم تحدث ضرراً يذكر لانها كانت غير محكمة الصنع . ولكن لمرماها معاني ؛ لقد دخلت المقاومة السلبية في طور جديد. قد يسود مبدأ الملاينة بلاد بومباي ، اما في كالكوتا فهو في تلاش ، والمعارك اسفرت عن قتلى وجرحى واحراق البيوت . وان للشيوعية الدولية الثالثة يداً خفية في الامر ، وهي التي تضع الخمير في العجين اذا ما عجنته الفتن الاسيوية .

واستاء غاندي من تلك الفظائع وقبحها . وبلغ منه الاستياء الى تهدد انصاره بمقاومتهم ، اذا هم اصروا على التذرع بالعنف توسلاً الى غايتهم . وان اضطرار غاندي الى ذلك الاعلان لامر خطير ودليل منذر بان الفتن لن تكذب اصلها !

عبثاً يضع لها منشؤوها سدوداً ، لانها اذا طغت جرفت كل مانع في وجهها . واذا انهدّ السدّ وطغى السيل ودخلت الحركة الهندية الوطنية طورها الدموي ، فلا سبيل الى معرفة ما تجرّه من الاهوال.

العجل عند الدروز

ذكر « المشرق » (السنة الحالية ، ص ٤٧٦) كتاب الدكتور حتي في « اصول الشعب الدرزي ودياته » ، فقال عن عبادة العجل ان امرها غير محقق عند الدروز .

وتناول سليمان بك ابو عز الدين الكلام في الكتاب المذكور ، فقال عن « خرافة العجل » (في الكلية ، ص ٣٠١) :

« الصقت بالدروز خرافة تنسب اليهم عبادة العجل او الاحتفاظ بتمثاله في صندوق من فضة او ذهب او ما شاكل ذلك . ونظراً لتكتم الدروز في معتقداتهم وتضارب اقوال الرواة في هذا الموضوع حارت الشكوك بعض الباحثين في معتقدات الدروز . على اننا كنا نظن ان الدكتور حتي الذي عاشر الدروز طويلاً يزيل هذا الشك ويصحح الخطأ الذي وقع فيه الذين تقدموه لان الدروز شديدو النفور من التماثيل ونسبة عبادة العجل اليهم او احتفاظهم بتمثاله باي شكل من الاشكال ولاي غرض من الاغراض مما لا صحة له على الاطلاق . وتعزيزاً لذلك نقول :

١ ان العجل لقب اطلقه الدروز على نشتكين الذي يزدرونه وهو عندهم ابليس الرجيم فهل يعقل انهم يعبدونه وهم يحتقرونه .

٢ ان النصوص الدينية في كتبهم تشير الى عبدة العجل بالهزء والازدراء فلو كان الدروز من تلك الطائفة لما اشير اليهم بالتحقير في كتبهم .

٣ ان الدروز موحدون « وموحدون » هو اسمهم الاصلي وعبادة الصنم نوع من الشرك المخالف للتوحيد .

٤ لو كان الدروز يقدسون هذا الحيوان النافع ويعبدونه لحذوا حذو الهنود فاحجموا عن استخدام البقر وامتنعوا عن اكل لحومها.

٥ لو كان الدروز يحتفظون بتمثال العجل في خلواتهم او منازلهم لوقع في ايدي سواهم[١] . فان عدداً كبيراً من كتب الدروز تسرّب الى ايدي غيرهم في اوقات مختلفة . وفي اثناء ثوراتهم على ابراهيم باشا المصري وحكومة الانتداب الافرنسي وقع بعضها في ايدي محاربيهم الذين دخلوا خلواتهم ومنازلهم بغتة ولم نسمع انهم عثروا في تلك الخلوات والمنازل على اي تمثال من اي نوع كان . واذا قيل انهم لم يحتفظوا الا بتمثال واحد وفرض انهم توفقوا منذ اكثر من تسعمائة سنة الى حفظه حيث لا تصل اليه ايدي الغير لكان ذلك التمثال الفرد محجاً يؤمه الدروز بالتكتم . اما رواية المستر سيبروك التي اشار اليها الدكتور حتي وهي ان المستر سيبروك استنتج من حديث مع احد مشايخ جبل الدروز وجود تمثال للعجل فهي اما خيالية او استنتاج غير صحيح من حديث مبهم . فقد اجتمع كاتب هذه السطور بالمستر سيبروك في بيروت قبل سفره الى جبل الدروز وبعده واوضح له سخافة نسبة عبادة العجل الى الدروز ولم يذكر المستر سيبروك حينئذ شيئاً عن حديث مع احد مشايخ جبل الدروز في هذا الموضوع.»

هذا وقد اخذنا عن دي ساسي اسطراً يشعّ منها نور على هذه القضية المبهمة. قال في كتابه «ديانة الدروز» (١ : ٢٣١)

« تقول العامة ان الدروز في مجتمعاتهم يعبدون الحاكم بصورة العجل ، وعرّف العلّامة اوليرِ الناس باثر من امثال ذلك مأخوذ عن متحف الكردينال بورجيا . ولكن السيد فانتور نشر في لندن سنة ١٧٨٦ كتاباً شكّ فيه بكون الدروز ينظرون الى العجل نظرهم الى رمز من رموز ديانتهم ويضعونه موضع العبادة فقال : «لا يمكننا ان نقتبس الّا بصيصاً عن اجتماعات الدروز

١) اكد لنا كاهن قرية من القرى اللبنانية المسيحية الدرزية انه رأى يوماً بين يدي ولد درزي عجلاً صغيراً مصوغاً من المعدن ، فتوصل الى الحصول عليه ، وما مضت ايام الا فقد العجل ولم يدر كيف فقد.

السرية . وكل ما نعرفه عنها هو انهم يُظهرون فيها عجلًا ويقرأون فيها كتبهم المقدسة ويؤولونها تأويلًا رمزياً تقليدياً اباً عن جد . يزعم العوامّ ان العجل الذهبي هو موضوع عبادتهم ، اما انا فلديّ من الشواهد ما يمكنني من القول انهم يعرضون العجل رمزاً لسائر الاديان الشائعة التي اوشك مشترعهم ان يبيدها ، فليس هو موضوعاً لعبادتهم وكتبهم الدينية تؤيد زعمي هذا ، لانها تارةً تستهجن عبادة الاوثان وطوراً تشبّه دين اليهود والمسيحيين والاسلام بالعجل او بالثور.»

وهذا الكلام هو مصداق الى ما كنت اشتبهه في امر عبادتهم وهو ان العجل الموهوم مؤلهاً ، انما هو رمز ابليس عدوّ الحاكم وخصمه. واني اليوم على اليقين ان عبادة العجل ليست مفروضةً او مباحة طبقاً للتعليم الدرزي الاصلي ولتعليم الحاكم ، بل هي امر مستحدث قد ادخله على دين الموحدين احد زعماء البدع المشتقة من الدروز . ف . ت .

شذرات

ما نقرأه في كتاب صغير

هو كتاب تاريخ الشام من السنة ١٧٢٠ الى السنة ١٧٨٢ للخوري مخائيل بريك الدمشقي الذي نشره مؤخراً الخوري قسطنطين الباشا المخلصي [1] . فما نقرأ فيه مدحاً لاحد حكام دمشق من آل العظم ، سنة ١٧٥٩ ، وذكر حالة النصارى في ايامه . قال الكاتب (ص ٦٢–٦٣) :

« الفقير قرات في تواريخ دمشق منذ حين تسلمتها الاسلام الى هذا الزمان فما رأيت تاريخ يخبر بانه صار لهم عزّ وجاه وسيط وسطوة وذكر مثل مدة العشر السنين الماضية في حكم اسعد باشا ابن العظم فكان اسمه اسعد والسعد بوجهه

١) مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٠ ، في ١٦٠ صفحة متوسطة

في هذه السنين الماضية . وسنذكر قليلاً من كثير منهـا وهو ان النصارى الدمشقيين تظاهروا (برزوا) بملابس مها شاؤا واختاروا رجال ونساء مـا عدا الاخضر . واما النسا فكانت تلبس جبب جوخ وصوف جنزاري خضر من غير مانع . وكان سبب وبيع وشراء ومكاسب ومتاجر من غير خوف ولا حسد . وتظاهرت النصارى بعمارات الدور والقصور والقاعات شيء ما حصل لمن تقدمهم ولا عاد يصير لمن يأتي بعدهم . وكذلك تظاهروا بالخروج الى البساتين والجناين والسيارين رجال ونسا العيلة جميعها وكل جنينة وبستان يوجد فيها خمس عيلات واكثر واقل من رجال واولاد وبنات وخروج العرق والخمر الذي عندهم من غير من يعترضهم احد طول السنة على هذا المنوال وكذلك الزيارات الى صيدنايا ومعلولا والقعود في الدرب والخمر اشكره (جهراً) من غير مانع .» .

وقال في تاريخ السنة ١٧٧٣ (ص ١٠٠) :

« في هذه السنة شاب نصراني اسمه حنا ابن موسى الله وردة من شدة خلقه — وكان يشرب — لسبب لا يذكر خرج من دينه ونطق بشهادة الاسلام فقبضوا عليه اذ ثاني يوم عاد الى دينه وجحد الاسلام وقال انا نصراني . فامر الحاكم بقطع رأسه . وقال للسياف اضرب انا مسيحي وعلى محبة المسيح وايمانه اموت وراح شهيد والله اعلم .»

وهو يذكر خراب كنيسة في بيروت سنة ١٨٦٧ فيقول (ص ٨٩) :

« وفي هذه السنة خربت كنيسة مدينة بيروت في شهر اذار وقد كانت تعمرت جديداً وبلغت كلفتها ما ينيف عن خمسين الف غرش وكان هبوطها نهار الاحد الثاني من الصوم المقدس في وقت القداس وراح تحت الردم نحو مائة انسان رحمهم الله وكانت تلك الايام محزنة على كافة المسيحيين اولاً لاجل خراب تلك الكنيسة العظيمة ثانياً لفقد المتوفين .»

وفي تاريخ السنة ١٧٥٥ نرى وصفاً لشتاء اشتدّ برده حتى تجلدت « بحرات » الشام ونهر العاصي (ص ٣٥)

ولا يخلو الكتاب من بعض العظات القصصية الطريفة كالحكاية التي يعزي

بها من ابتُلي بامرأة شريرة ، قال (ص ٢٧) :

« خبر مفيد للصبر وبه تعزية لمن يقع بامرأة شريرة خبيثة . في هذه السنة توفي احد كهنة دمشق وفي ليلة دفنه في آخر الليل اجتاز على المقبرة رجال محملين تبناً فنظروا فوق قبر ذلك الكاهن عمود نور ممتد من السما الى فوق ذلك القبر وسمعوا اصوات وتنغيم ادهشهم وشموا رائحة زكية عظيمة ولما دخلوا المدينة اخبروا بذلك فبحثنا عن الامر وكيف صار هذا فوجدنا انه كان له امرأة خبيثة وشريرة وهو صابر عليها وشاكر الله تعالى فعرفنا ان الله تعالى منحه هذه النعمة من اجل صبره واحتماله لان الله لا يضيع اجر الصابرين وشكر الشاكرين . »

فنشكر لحضرة الناشر الفاضل اهتمامه في سبيل التاريخ .

قمم الدخان

افتتحت بلجيكة مؤخرًا ، بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على استقلالها ، معرضاً عاماً في مدينة انفرس . فكان من الشركات العارضة مصنوعاتها شركة شهيرة للدخان . وبلغ ما تخرجه من معاملها في الاسبوع الواحد ٨٠,٠٠٠ كيلو من التبغ المعدّ للغليون . وهو مقدار عظيم اذا وُضعت علبه واحدة فوق واحدة تألف منها قمة هائلة تبلغ ٢٧,٠٠٠ متر او ما يفوق اكثر من ٥ مرات علوّ الجبل الابيض في الالپ ، وتسع مرات علوّ اعلى قمة في لبنان .

علم الطب وعجائب لورد

القى الطبيب هنري مونيه مؤخرًا أطروحة في جامعة باريس موضوعها : « درس طبي عن بعض أشفية حصلت في لورد » وهي المرة الاولى التي يجري فيها الكلام عن مثل هذا الموضوع امام علماء الجامعة الباريسية وقد بيَّن الخطيب العالم في بحثه ان تلك الاشفية لا يمكن تعليلها بالقوى الطبيعية المعهودة حتى الآن ايّة كانت ولا سبيل الى انكار انها مفعول ما يوحي به الايمان المسيحي . وقد استحقت اطروحة الطبيب مونيه لصاحبها من اللجنة الفاحصة ثناء طيباً .

مطبوعات شرقية جديدة

L. A. Waddell: The Makers of Civilisation in Race and History. *Gr. 8°, LVI-646 pp., 35 planches, 5 cartes, 168 fig. London, Luzac a. C°, 1929. 28 sh. net.*

صناع المدنية في العنصر والتاريخ

نشكر للسادة لوزاك وشركاه هذا المجلد الضخم ، الفريد في نوعه ، الذي اظهروه باجمل ما يمكن من الطبع والتنسيق فاستحقوا التهنئة .

ان المؤلف استاذ اللغة التبتية في جامعة لندن ، وقد اهتم كثيرًا في السنين الاخيرة بالشؤون الخاصة باصل المدنيات ، ونشر عدة ابحاث احدثت استغرابًا شاملًا في محيط الاختصاصيين . وكان ان حدث مؤخرًا أمر اعاد لهمة المؤلف ولمخيلته نهضتها السابقة ، الا وهو الحفر في وادي الهندوس ، في محلتي مهنجو دارو وهرابا ، الذي كشف آثار مدنيّة عريقة في القدم لم يفكر بها احد حتى اليوم . وبين تلك الآثار اختام عليها علامات كتابية ، شُبّهت حالًا بالخط الشومري القديم . فسار المؤلف مستندًا الى هذا الشبه السطحي ، فجعل للعلامات الجديدة قيمة العلامات الشومرية ، حتى انه ادّعى حلّ جميع النصوص الموجودة على الاختام ، ذاكرًا انه اكتشف سلسلة اقدم ملوك الهند منذ الالف الرابع قبل المسيح ! ثم بعد ان قابل هذه الاسماء باسماء مشهوري المدنيات القديمة في ما بين النهرين ، وآسية الصغرى ، ومصر ، توصّل ، في زعمه ، الى الوقوف على علاقات تاريخية وعنصرية ولغوية بين جميع هذه البلدان ، والى وضع مقابلات توقيتية مكنته من القول ان العالم الشومري والعالم الهندي القديم يتحدران من عنصر واحد ، وكذلك العالم المصري الخ . . . حتى ان حموربي نفسه يصبح آري الاصل ، وكذا القول عن الفنيقيين ! فتكون النتيجة ان اعمال المؤرخين حتى اليوم كانت كلها ضلالًا في ضلال ، وانه من الضروري تغيير نتائجهم كلها . فلم يظهر الساميون في التاريخ الا مؤخرًا ، وكل الشعوب الاوربية

متحدّرة عن الشومريين والفنيقيين. اما الابجدية الفنيقية فهي متفرّعة عن ابجدية هذه الاختام الهندية.

هذا ملخص نظرية المؤلف. اما تفصيل تلك الغرائب التي اسهد جفنه في سبيلها فاننا نحيل المطالع الى الكتاب نفسه فيقف عليها، ونرى انه يمكننا ان نشبّه هذه الطريقة، في بعض نقاطها، بطريقة الكاهن الفرنسوي پوريار (Pourrière) الذي «اكتشف» منذ عشرين سنة تقريباً ان تثبّتَ سبط دان كان اصلاً لجميع الديانات الوثنية؛ ويمكننا ان نشبهها ايضاً بطريقة كتاب ثجادور (Cejador) في اللغة والمدنية الايبرية الذي تكلمنا عنه مؤخراً. (العدد الماضي من «المشرق» ص ٤٧٣) س. ر.

Massignon (L.) : Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays d'Islam. [*Collect. de textes inédits relatifs à la mystique musulmane, t. I*] *in*-8°, 259 *pp. Prix :* 125 *f*. *Paris, Geuthner*, 1929.

مجموعة نصوص غير منشورة تتعلق بتاريخ الصوفية في بلاد الاسلام

ينشر السيد ماسينيون، في هذه المجموعة، كلّ النصوص العربية والفارسية والتركية التي استغلّها وترجمها لتأليفه النفيس في صوفية الحلّاج. واكثر هذه النصوص مما لم يكن سبق نشره، وقد اضاف اليها المؤلف نصوصاً اخرى تتعلق بمشاهير الصوفيين. فكان من كل ذلك مجموعة اسانيدَ قيمة تسهّل على الدارس ان يلقي لمحة سريعة شاملة على تاريخ هذه العاطفة الدينية في الاسلام. فيتعرّف الى شخصية كل صوفي بمفرده، بفضل المعلومات المختصرة عن حياته والمركز الذي يحتله في العالم الصوفي وتطوّره، مما يجعل للكتاب قيمة خاصة ويزيد شكر جميع دارسي الاسلام للسيد ماسينيون. ه. ل.

Paul Joüon S. J. : L'Evangile de Notre Seigneur Jésus-Christ, *traduction et commentaire du texte grec.* [*Collect. Verbum Salutis,* n° V]. *Paris, Beauchesne,* 1930, *in*-16° *XXIV*-620 *pp.*

انجيل سيدنا يسوع المسيح

ان هذه الترجمة الجديدة للاناجيل الاربعة، والحواشي النحوية واللغوية التي

تراقفها ، لهي خير تتمة للشروح الاربعة التي ظهرت قبلًا في المجموعة نفسها « *Verbum Salutis* » من اقلام الآباء هوبي (Huby) ودوران (Durand) وڤالنسن (Valensin) . ومع ما هي عليه من التدقيق العلمي الخاصّ بقسم الباحثين ، نرى انها تفيد الكثيرين من الوعاظ ، والمتأملين ، ومطالعي الاناجيل ، اذ تسهّل لهم ان يفهموا ، حقّ الفهم ، ما اراده الكاتب الملهم بتعابيره اليونانية . على حضرة المؤلف الفاضل يميل نوعاً ما عمّا يعتقده الكثيرون من أن لغة الاناجيل اليونانية هي اليونانية الجارية العادية ، وهي يونانية المخطوطات البردية المصرية . اذ انه يعتقد بوجوب الانتباه الى اللغات السامية من عبرية وارامية في شرح التعابير اليونانيـة في الانجيـل لان كتبة الاناجيل كانوا يتكلمون هاتين اللغتين ويجتهدون في تقليد طرق تعبيرهما بالسير ، في كتاباتهم ، على اسلوب الترجمة السبعينية . ومها يكن من قابلية هذه الآراء للمناظرة ، فان الكتاب مفيد للكثير من القراء .

ب . م .

Preussische Staatsbibliothek. Katalog der Handbibliothek der orientalischen Abteilung. *XIII-573 pp. gr. 8°, Leipzig, Harrassowitz*, 1929.

المكتبة البروسية الوطنية : فهرس المكتبة اليدوية في القسم الشرقي

ان مكتبة برلين من اجمع المكاتب للتآليف المتعلقة بالشرق واموره . الا ان في نظامها نقصاً يسوء جميع من يقصدونها للدرس ، وهو انها تُعير مجلداتها مما ينتج عنه ان المشتغلين كثيراً ما لا يجدون الكتاب المطلوب . فلكي يُتلافى هذا النقص العائق طبعاً بكل مكتبة تُعير كتبها ، رأت ادارتها ، في ما خصّ القسم الشرقي ، ان تختار عدداً من المؤلفات تمنع خروجها من المكتبة ، فتضعها في ردهة خاصة يمكن لجميع الراغبين ان يدخلوها ، ويطلعوا دائماً على ما فيها من الكتب . وقد بلغ الموجود في هذه الردهة الشرقية ، حتى كانون الاول ١٩٢٨ ، ٤٣٠٠ مؤلف ، في ٧٢٠٠ مجلد . وقد أُضيف في آخر الفهرس الذي نصفه عدد المؤلفات التي وصلت المكتبة ، أوان طبعه ، وهي قليلة .

اما فروع هذه المجلدات فهي : لغات وآداب آسية وافريقية ، وتاريخ

ومدنيات آسية وافريقية الشمالية ، ثم آداب وتاريخ اليهود بعد عهد التوراة.

واما الفهرس فيحتوي : ١ً على مبادئ عمومية ثم بعض الابحاث في تاريخ الكتابة والطباعة ، وتاريخ الآداب ، ومآخذ الكتب والترجمات ، وتاريخ علم الاستشراق: ٢ً على فهارس المطبوعات والمخطوطات في مكاتب اوربة والشرق ، مع تاريخ المكاتب . ٣ً على ذكر المؤلفات في اللغات الشرقية وآدابها ، حسب التقسيم الجغرافي . ٤ً على المؤلفات في التاريخ ، والجغرافية ، وعلم الجنس ، والديانات الوطنية الخاصة . ٥ً على المؤلفات في الديانات العامة وهي : البوذية ، والمانوية ، والاسلام ، واليهودية ، والمسيحية الشرقية .

هذا وان مؤلف الكتاب الدكتور گوتشالك (Gottschalk) وهو مستشار المكتبة (*Bibliothesrat*) ، بذل كل جهده في الحصول على ما يفيد من الكتب ، معتبرًا في ذلك سعة الردهة ، وحاجات الدارسين العادية وما شاكل ، فتوفق ، وان لم تكن المؤلفات تامة في الاقسام . على ان القسين الاولين غنيان بالكثير من المواد مما يدفعنا الى الامل أن المكتبة الوطنية في بيروت تطلب الفهرس الذي نصفه لتطلع على ما ينقصها من المؤلفات . اما مكتبتنا الشرقية ، في كلية القديس يوسف ، فانها ، كمكتبة للعمل والدرس ، تعادل تقريباً مكتبة برلين ، بل تفوقها في بعض نقاط.

س . ر .

Dr Kaufmann Kohler: The origins of Synagogue and Church, *edited with a biographical Essay by* **A. G. Enelow.** *New-York, the Macmillan Co, 1929. XL-300 pp. in-16, Prix, 3 dollars.*

اصول الكنيس والكنيسة

كان مؤلف هذا الكتاب من اشهر ممثلي النزعة الاصلاحية (*réformiste*) عند الاسرائيليين . وقد توفي في كانون الثاني ١٩٢٦ عن ثمانين سنة ، تاركاً هذا المجلد مخطوطاً . فاهتم به السيد انلو وطبعه بعد ان قدم عليه ترجمة المؤلف . والكتاب يشمل قسمين مختلفين طولاً ، يختص الاول ، وهو الاطول ، باصول الكنيس اليهودي منذ الرجوع من بابل الى المسيح ، والثاني يختص باصول الكنيسة. ويستند المؤلف في كل اقواله ، ولاسيما في هذا القسم ،

الى مواقف النقد الكتابي الاكثر تطرّفاً ، فيولي اهمية متجاوزة الحدّ لاحد اناجيل الزور المعروف « بانجيل اليهود » . فيخرج تاريخ القرون الاخيرة قبل المسيح ، وتاريخ المسيح نفسه ، وتاريخ الكنيسة في اول ايامها ، وقد اصطبغت بآراء المؤلف الخاصة مع بعض الميل الى المسيحية يدفعه الى ان يناشد الكنيس والكنيسة بان يتحدا في رأي او مبدأ مشترك لا يكون فيه شأن يُذكر للعبادات الطقسية ولا للعقائد . وعلى الجملة فليس الكتاب بالتأليف العلمي المحض ، ولا بالعمل المبتكر . ان هو الّا مراجعة افكار التساهل المعروفة المبتذلة العزيزة على المؤلف وشيعته ، وعلى البروتستانت ايضاً . ب . م .

Baedekers Dalmatien und die Adria, 1929. [*Westliches Südslavien, Budapest, Istrien, Albanien, Korfu*] 322 *pp.*, 37 *cartes et* 34 *plans. Leipzig, Karl Baedeker*. 12M, 50

دليل دلماسية وادرية

ان البلدان المذكورة في هذا الدليل تطوّرت حدودها تطوّراً عظيماً بعد الحرب الكونية مما دفع الناشر الى اظهار المعلومات عنها بمظهر جديد ، فضلًا عن حاجة السيّاح الى ذلك وعددهم يتكاثر في قصدهم تلك الانحاء . والخلاصة ان دليل بيدكر الجديد يقوم بهذه المهمّة حقّ القيام بما فيه من الخرائط والرسوم والافادات ، فهو كالدليل العامّ للبحر الادرياتيكي وشاطئه الشرقي . ج . ل .

Epistolae et logistorici, *in form einer nicht periodischen Zeitschrift gegr. in Jahre* 1926 *von* **Prof. Dr. Vasili Sinaisky.**

Nos 2-5 : Von Adam bis zu Jesu Christo, 72 *pp. in*-8°

Nos 6-7 : Ueber das Zehnmonatliche Jahr und die chronologische Methode, 28 *pp.* — *Riga* (*Lettonie*), 1927

١ — من آدم الى المسيح
٢ — في السنة ذات العشرة اشهر والطريقة التوقيتية

تظهر سلسلة هذه المنشورات باللغة الالمانية وغايتها الوحيدة ان تبسط نظريات السيد ڤاسيلي سينيسكي ، محرّرها الوحيد ، في مسألة التوقيت في العصور القديمة . وهو يزعم انه يبرهن عن ان السنة عند الرومانيين وغيرهم من

الشعوب القديمة كانت ، طيلة قرون عديدة ، مؤلفةً من عشرة اشهر ، او ٣٠٠ يوم على التقريب ، وذلك استناداً الى اشارة ذكرها النحوي سنسورينوس (في القرن الخامس بعد المسيح) والى غيرها من الاشارات . فكان من شأن هذا الاكتشاف ، اذا ما استعمل بشيء من المهارة ، ان يساعده في استنتاجاته فيعرض للمشكلات العديدة الصعبة التي يراها الدارسون في التوقيت القديم من روماني ويهودي ومصري وأشوري ، شروحاً مبتكرة جديدة ، وان لم تكن كافية . على انه بعيد من ان يبرهن حقيقة وجود هذا الحساب عند الاقدمين ، وابعد من ان يدلّ على استعماله طول تلك المدة عند اولئك الشعوب جميعهم وان ما يأخذ به من الاستنتاجات اللغوية الغير الراهنة ، ومن الاشارات الغامضة ، لا يكفي في البرهان عن هذا الزعم

ب . م .

A treatise on The Canon of Medecine of Avicenna by O. Cameron Gruner, M. D. *London : Luzac and C°*

قانون ابن سينا

هذا اول كتاب يتاح فيه للقارئ الانكليزي ان يتناول مباشرة بنظرة عامة الحالة التي كانت عليها المعارف ، منذ الف سنة ، في طبيعة البدن الانساني وفي الامراض والمعالجات ، طبقاً لتعليم الحكيم الكبير الذائع الصيت في الخافقين ، ابن سينا (٩٨٠—١٠٣٧ م) كتب « القانون » زهاء خمسين عاماً قبل فتح النرمان لبلاد بريطانية ، وما زال كتابه في يومنا مرجعاً تستوحى منه بعض الآراء والافكار التي لا يأباها العلم العصري في تفسير الحوادث الطبيعية على العموم ، وفي معالجة بعض المشاكل الخصوصية المطروحة على بساط البحث والتي لم تحلّ عقدها بعد . ومما يزيد هذا الكتاب رونقاً في اعين القراء انه لا يزال بين ايدي الاطباء الشرقيين مرجعاً يعوّلون عليه في تطبيبهم . وليس قانون ابن سينا كتاب طب فحسب بل هو ايضاً كتاب جامع لمباحث فلسفية كثيرة الفوائد ، لما فيها من النظرات العالية ولما لها من العلاقات مع فلسفة القديس توما الاكويني والفلسفة المدرسية الحديثة ، فضلاً عن طلاوة عبارتها وحسن انشائها . وطبعة الكتاب ممتازة بورقها الصقيل وحروفها الجميلة وصورها وفهارسها المتقنة .

ف . ت

الفرائد العلمية

تأليف الارشيمندريت برتلماوس ابراهيم صليبا

المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٠ ق ١٢ ' ص ١٠١ ' ٤٠ غ سوري

هي منتخبات شعرية ونثرية نشرت اكثرها سابقاً في المجلات . جمعها المؤلف في كتاب واحد حفظاً لها من الضياع . ه . ل .

الروضة الطبية ، لعبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع

عني بتصحيحها والتعليق عليها القس بولس سباط

سنة ١٩٢٧ ' المطبعة الرحمانية ' بمصر (ص ٧٣ ' ق ٨)

عنوان الكتاب يوهم بعلم الطب ، اما حقيقته فهو مؤلف موجز بالفلسفة وعلى الخصوص بعلم الانسان والنفس ف . ت .

الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا

تولى جمعها ، وضبط قراءتها ، ووضع فهارسها ، الدكتور اسد رستم

المجلد الاول : الاوراق السياسية ' ١٢٤٧ ه ؛ المطبعة الاميركية بيروت ١٩٣٠

بلغ قراءنا (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] : ٤٣٧—٤٤٠) ان الدكتور اسد رستم عزم على نشر كل الوثائق الاصلية المتعلقة بحروب ابراهيم باشا في سورية . وها هوذا المجلد الاول من مجموعته ، وفيه الاوراق السياسية مرتبةً طبقاً لزمان ظهورها من ١٢ حزيران ١٨٣١ الى ٣١ ايار سنة ١٨٣٢ . وهي نشرة بديعة في ١٣٩ صفحة من الورق الجميل من القطع المثمن الكبير ، راعى فيها صاحبها جميع حقوق النشر الحديث ، فاصبحت مثالاً وقدوةً لكل من شعر في الشرق بالدعوة الى نشر المخطوطات . لكل وثيقة منها توطئة قصيرة تدلّ على مؤلفها وتاريخها ، وعلى حجمها ، ونوع ورقها ، ان كانت لم تنشر بعد .

وتلو التوطئة ، نصّ الوثيقة بحرفه ، من غير زيادة ولا نقصان ، على اغلاطه وعباراته العامية حيث وقعت . وقد يعسر على القارئ ان يتصوّر ما اقتضته تلك المجموعة من الاسفار والنفقات ، فضلاً عن مشقات المؤلف ومتاعبه

بعرض الآثار المذكورة بالرغم ممن يطرحونها مأكلاً للدود ولا يعبأون بما يعود فيها من المنافع على المؤرخين في الغد . فرحباً بالكتاب ، وان شاء الله فسوف تتلوه سائر المجلدات بالقريب العاجل ل .

دليل بكفيا

نشرته لجنة الاصطياف في بكفيا ، لبنان
مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٠ ، ١٢٨ ص . صغيرة

لقد اجتمعت في هذا الكتيب الصغير أشهر اقلام البكفاويين من السودا ، الى الجميل ، الى المنذر ، الى سواهم متسابقين في الاشادة بذكر وطنهم ومناخه الممتاز ، ومائه العذب البارد ، ومناظره البهجة ، واهله الكرام ، يزين كل ذلك عدة صور جميلة ولكن لم تظهر كلها واضحة في الطبع . على اننا لا نأسف الّا لامر واحد وهو ظهور هذا الدليل متأخراً نحو الشهر او اكثر ه . ل

شعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الرابع : شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر
تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١١٨ ص . متوسطة

هو الكتاب الذي طالما انتظره دارسو الادب العربي بعد ان اطلعوا على اقسامه الثلاثة الاولى . كان المرحوم الاب شيخو قد نشره في مجلة المشرق سنة ١٩٢٧ ، وانهاه قُبيل وفاته ، وقد جمع فيه ترجمة وآثار نحو الثلاثين من ادباء النصارى الذين نظموا الشعر والزجل في عصر الانحطاط ، من القرن الرابع عشر الى اواخر الثامن عشر ، فاتم به تلك السلسلة الطويلة التي بدأ بها سنة ١٨٩٠ . وان اشهر من يذكرهم المطران جرمانوس فرحات والخوري نقولا الصايغ ، اما الباقون ، وان بدا شعرهم ضعيفاً ركيكاً ، فيفيد ذكرهم لدرس انحطاط الادب في تلك العصور المظلمة ، وللدلالة على ان الروح الشعرية العربية ، ما فتئت حية في صدور النصارى طول تلك المدة . وعليه فسيكون شكر مؤرخي الادب جزيلاً للاب المرحوم . ف . ا . ب

تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين

تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت — ٢٠٨ ص . متوسطة

وهذا ايضاً من آخر آثار ذاك العامل النشيط ، بل هو آخرها ، لانه انهى صفحاته الاخيرة قبل وفاته بايام قليلة . فلم يكن على المطبعة الّا ان تعدّ فهارسه وتطبعه . وان الذين اطّلعوا على مجلّدي الفقيد في تاريخ آدابنا في القرن التاسع عشر ، يقدرون معلوماته الكثيرة عن حياة الكتاب والشعراء واسماء كتبهم ومكان طبعها ، وعدد مخطوطاتهم ومحلات وجودها ، ونظراته الشاملة في تطوّر الادب العصري ، فيتلقّون بشوق وارتياح هذا المجلّد الجديد الذي يبسط امامهم حركة آدابنا في الربع الاول من القرن الحالي ، والمؤلف يقسمه الى ثلاثة اقسام يدرس في الاول حالة الادب من فجر القرن حتى السنة ١٩٠٨ ، وفي الثاني تطوّر الادب من السنة ١٩٠٨ الى منتهى الحرب الكونية سنة ١٩١٨ ، ويتبسّط في القسم الثالث في درس المظاهر الادبية من السنة ١٩١٨ حتى السنة ١٩٢٦ ، ذاكرًا في الكتاب كله نحو الالف شاعر وكاتب ومؤلف ومعرّب من مستشرقين وشرقيين على اختلاف اديانهم وبلادهم ونزعاتهم . مما يفتح امام المؤرخين باباً واسعاً للبحث والتنقيب . والبناء على هذه الاسس التي وضعها الاب الفاضل واسعة متينة   ف . ا . ب .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران

اسست الممالك الاسلامية في الشرق تشريعها على القواعد الدينية ، وخوّلت الاقليات المذهبية حقّ تطبيق مبادئ دينها وآدابها في احكامها الشخصية . فلم يتساوَ بذلك المسلم وغير المسلم امام الشرع ؛ لكن الجميع قضوا زمانهم في ظل ذلك النظام منذ قرون عدة . وهو نظام الطائفية . ولم تزل الطائفية اساساً

للدستور حتى في يومنا هذا . ولكن الحكومة اللبنانية اخذت ترمي بنظرها الى نظام الشعوب المتمدنـة الحديث ، وتبحث في تغيير بنود بعض قوانين الاحوال الشخصية فيما تضطرها اليه تطوّرات الحوادث ومقتضياتها . فلم يجمع اوليـاء الامر من مسيحيين ومسلمين كلمتهم في الرضى عن التغييرات المنوي اجراؤها . ونشرت جريدة البشير (١٥ ايار) كتاب غبطة البطريرك كيرلس المغبغب الى رئيس الجمهورية اللبنانية طالباً تحويـل الطوائف المسيحية الحقوق المخوَّلة للمحاكم الشرعية الاسلامية ، وعرض الاستاذ الجسر في المجلس النيابي طلب فئة من المسلمين الرجوع في الامور العائليـة المختصة بهم الى احكام الشرع. وان القضية خصية بمشاكل متنوعة ، نسبةً لاتصالها بالمسائل المدنيـة والدينية ، وعلى الخصوص بالحياة الطائفية ، اذا ما نشب فيها خلاف.

* لم يحجم سيادة المطران باسيليوس قطان عن حلّ المجلس الملي للطائفـة الرومية الكاثوليكية في بيروت متذرعاً بقوانين الكنيسة الكاثوليكية المخولة الاسقف ، عن يد الحبر الاعظم ، سلطته التامة في تدبير شؤون ابرشيته بمساعدة من يرى فيهم الاهلية والجدارة لاستشارتهم.

* دعت الكنيسة الارمنية ابناءها للاشتراك في الحفلات الاكرامية للطوباوي غوميداس الشهيد.

* لم يرَ الروم الارثوذكس سبيلاً في حلّ مشكل انتخاب البطريرك الّا بالاستنجاد ببطاركة الطائفة الارثوذكسية اليونانية في الاسكندرية واورشليم والقسطنطينية . ولا ادري هـل يتوصلون الى توحيـد كلمتهم ، لانهم لا يتقيدون بطاعـة البطاركة . على انهم ساروا بموجب مبدأهم القائـل باستقلال الابرشيات وطبقـاً لذلك المبدأ ناهض السيد نيفون ، مطران زحلة ، القائمقام البطريركي واحتج على دعوتـه الاساقفة باسم الكرسي الانطاكي لارسال ممثلين من قبلهم الى مؤتمري اثوس ولندن ! — فاحكم على المبدأ من النتائج !

* * *

قام المفوض السامي برحلة في الانحاء السورية متفقدًا شؤونها العسكرية والاقتصادية ، فاعجبه مـا رآه واثنى على ما يجري في الجهات الشماليـة من

تسهيلات المواصلات بمدّ الجسور وتعبيد الطرق . وتحقق ان المواسم جيدة، وان الجراد لم يكد يؤثر فيها كثيراً ؛ وزار العشائر العربية وعاد مبشراً بالخير والامن . واعلن القانون الاساسي في ٢٢ ايار لبلاد سورية ، وللحكومات اللاذقية ، وجبل الدروز ، والاسكندرونة ، ولمجلس المصالح المشتركة.

وُضع الدستور السوري على الشكل الذي اقرته الجمعية التأسيسية السورية ، واضيف اليه تحفظات قضت بها حقوق الدولة المنتدبة وواجباتها ، كما هي ناجمة عن المادة ٢٢ من ميثاق جمعية الامم، او صك الانتداب.

ولم تمض ايام على اعلان الدستور حتى تألفت في سورية محكمة تميز مختلطة واحتلت السلطة الافرنسية منقار البطة (٣ حزيران) وهي المنطقة الواقعة في الجانب الشمالي الشرقي من الجزيرة العليا . فجاء عملها دعامة للدستور لان من له الحق والقوة والواجب في صيانة الحدود عليه ان يسن الشرائع ، ويحفظ الامن ويدافع عن الارواح.

اما الحكومة اللبنانية فلا تزال مواصلة اصلاحاتها في سبيل انجاح البلاد : خففت ضريبة التمتع ، وامرت اصحاب الفنادق باعلان قيمة اسعارهم لتحول دون ما يمنع الاجانب عنا ،ونشرت القانون الجديد المختص بزراعة التبغ والتنباك وصناعتهما وتجارتهما وقررت نظام الباندرول.وحذت الحكومة السورية حذوها في ذلك بعد الغاء دائرة الريجي.

ولا يزال جيراننا الفلسطينيون يتخبطون بالمشكل الصهيوني وما من سبيل الى حلّه وانكلترة تصر على عزمها بالبقاء على وعودها لليهود ، والشعب الفلسطيني يتدرج يوماً فيوماً في سبل المقاومة والدفاع عما يراه ماله الطريف وحقه الموروث . فانصرف الوفد الفلسطيني من لندن بالخيبة ، وتظاهر يهود لندن ونيويورك احتجاجاً على ايقاف حركة المهاجرة.

اما تركية فقد حفظت العهود ، وأجلت عن منطقة منقار البطة ، ولا تزال تسعى في الخروج عن التقاليد الاسلامية فاستعاضت عن المؤذنين بالايذان اللاسلكي ، لكنها لم تحد عن خطتها القديمة في العهد بشؤونها المالية الى الاجانب فسلمت زمامها اختصاصياً افرنسياً. ف . ت .